ألطَـــاف

اســــم الكتـــــاب: ألطــــــــــــــــــــــاف

التـــأليــــــــــف: ســـــــــامح ســـــــــالم

مراجعـة وإخـراج فـني: ســــالم عبــــد المعــــز ســــواح

رقـــــم الإيــــــداع: 2023/ 9751

التـــــرقيم الــــدولي: 978-977-835-351-8

الناشـــــــــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر Facebook

Email za7ma.kotab@gmail.com

Tel 002 01205100596
002 01100662595

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار زحمة كُتَّاب للنشر

لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة بأي شكل من الأشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

ألطـــاف

رحلة تدبر تعيش فيها بين عطف الله ولطفه
تخرجك من ضيق التفكير إلى ألطاف التدبير

تأليف

سامـــح سالـم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أبي - رَحِمَهُ اللهُ -

حديثي مع نفسي عن والدي

ينتهي دائمًا بـ لمعة عينٍ وبكاء قلب!!

سيظل عزائي فيك عُمرًا حتى نلتقي في الجنة حيثُ لا فراق

رحمك الله يا أغلى مَن فقدت

كان أبي لا يملّ من تساؤلاتي وثرثرتي ونقاشي

كان سفره كثيرًا للعمل من أجلنا ولراحتنا

والآن سفره بعيدٌ والحياة طويلةٌ وصعبةٌ في غيابه

لكن هَنِيئًا لمن ذهب للقاء ربه

وترك خلفه آثار حبه لله وذكرًا طيبًا بين الناس

فاللهم صبرًا على رحيلك يا أعز الناس

فواللهِ لا أنسى أبي أبدًا

حتى أُغَيّب في قبري وأحجاري

#رحمك_الله_يا أبي

البداية

أذكرُ عندما كنت طفلًا صغيرًا كانت أمي -حفظها الله- عندما يأتيها خبرٌ يقلقها أو ترى شيئًا يُفجعها، تدعو الله في عجالةٍ على خوف قائلةً: (**الطف يا رب.. الطف يا رب**) فهذا كان دعاؤها دائمًا في كل موقفٍ تقلق فيه من وقوع ما لا تتمناه وتخشى من حدوثه..

والغريب في أمر أمي أنها وإن وقع ما كانت تخشاه، وحدث ما كانت لا تتمناه، كانت تقول: (**الحمد لله.. قدر ولطف**)!!

فكنتُ أتعجب!

كيف تدعو باللطف في أمرها قبل وقوع ما تخشى؟!

فكيف تصفه بعد وقوعه ـ وكانت كارهةً أن يقع قبل ذلك ـ بأن هذا القضاء فيه لطف من الله؟!!

فلما كبرت وبدأت أفهم وأستوعب بعض أمور القضاء والقدر فهمت أن من معنى اللطف: الرفق والتخفيف، فأمي كانت تدعو بالتخفيف في قضاء الله، وكانت ترى أيضًا في الوقت نفسه أن كل ما يكتبه الله من أقدار فيه لطف منه سبحانه.

وبعد ذلك كبرتُ وتعلمت وفهمت ووقفت على معانٍ كثيرة للطف اللّه ﷻ بنا.

وهذا الكتابُ الذي بين يديك هو محصلة رحلتي في التنقيب عن بعض معاني اسم اللّه (**اللطيف**) الذي هو من أسماء اللّه الحسنى، وصفة من صفاته جل وعلا.

ومعرفة معاني أسماء اللّه الحسنى من أجّل العلوم وأعلاها، وأنفعها عند اللّه وأسماها، وكيف لا يكون كذلك وهو يُعرّفنا بربنا الذي نعبده، ويقربنا إليه، ويعرفنا معاني صفاته وأسمائه، حتى نعبده على بصيرةٍ، ونحبه على علمٍ، ونتقرب إليه على يقين.

فهيا نبحر معًا أخي القارئ في رحلة تدبرية، بين طيات أسماء اللّه الحسنى نبحث فيها عن اللؤلؤ ليزين لنا الكثير من الخواطر، ونُحلق في سماء **ألطـاف** اللّه الواسعة، نجمع منها أجمل المعاني والعبر، والتي تُضيء لنا الكثير حول لطف اللّه بنا، وكيف يمكننا الاستفادة والتعايش بهذه المعاني في حياتنا، فـهيا هيا...

مقدمة

الحمد لله اللطيف الخبير؛ ليس له شبيهٌ ولا نظير، الذي عمّ بلطفه العالمين، وخصّ به عباده المؤمنين، فما من مخلوقٍ إلا وناله من لطف الله تعالى ما صلح به عيشه، وتجاوز به همه وكربه.

نحمده سبحانه، المطّلع على خفايا السرائر **والألطاف**.

يعلم ما تخفي القلوب والخواطر، ويرى خائنة الأعين والنواظر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقلب القلوب، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويفرج الكروب.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ﷺ سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد...

قال أبو القاسم الأصبهاني في بيان أهمية معرفة الأسماء الحُسنى في كتابه الحجة في بيان المحجة:

(قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه هو معرفته سبحانه، فإذا عرف الناس ربهم عبدوه حق عبادته، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته).

وبوب الإمام البخاري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ باب العلم قبل القول والعمل.

واستدل بقول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فالواجب على الإنسان أن يتعلم أولًا.

ولذا ينبغي علينا أن نعرف أسماء الله الحسنى ومعانيها ومدلولاتها، فالله خلقنا ورزقنا ونحن الذين نرجو رحمته ونخشى عذابه، أولى بنا أن نعرفه بأسمائه وصفاته.

فمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته المثلى تغرس في قلبك الإيمان العميق بربك العظيم، والإخلاص التام في عبادتك لله الواحد القهار، وهي تبعث الخشوع في نفسك، والسلامة في عقلك، والطهارة في قلبك، والنقاء في وجدانك، وتحركك نحو كل خير، وتبعدك عن كل شر، وتدفعك وتفتح لك الأعمال الصالحة، والأقوال الطيبة.

يقول الحق سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وامتدح الله بها نفسه في القرآن الكريم فقال:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه: ٨].

وكذا حث عليها الرسول محمد ﷺ فقال:

(إِنّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلا وَاحِدًا، مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنّةَ) رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين.

وليس المقصود في هذا الحديث معرفة هذه الأسماء وحسب أو قراءتها أو حتى حفظها، أو جعلها أنشودة يُستفتح بها الأفراح والأعراس؛ بل المقصود بذلك التفكّر والتدبّر في معانيها والتقرّب لله ﷻ بمقتضاها، ودعاؤه ﷻ بها.

وعليه فإنه من الأهمية بمكان التعرف على الله من خلال أسمائه الحسنى وصفاته المثلى وتعلمها وتدبرها ليتثنى العمل بمقتضاها.

قال ابن القيم عليه رحمة الله في كتابه طريق الهجرتين:

(وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، فالسير إلى الله من طريق الأسماء والصفات شأنُه كبير، وفتحه عظيم، صاحبُه قد سيقت له السعادة وعنده كنز من العلم والمعرفة).

ولذا فإن الناظر في القرآن الكريم حينما يمر على أسماء الله وصفاته ويتفكر في معانيها وأسرار ذكرها في سياق الآيات، واقتران بعضها ببعض، يدرك أن الله يريد من وراء ذلك أن تجعل حياتك تسير وفق مراد الله من فهم أسمائه الحسنى، فتتعايش بهذه المعاني لا أن تقتصر على بعضها فحسب.

ولكن المُلاحظ في الآونة الأخيرة أنه قد غَلب على الخطاب الديني الترهيب وغفل معظم الدعاة والكتّاب عن الترغيب.

قال النووي في كتاب المجموع شرح المهذب:

(وقد تتبعت الأحاديث الصحيحة الواردة في الخوف والرجاء وجمعتُهَا في كتابِ رياض الصالحين، فوجدت أحاديث الرجاء أضعاف الخوف مع ظهور الرجاء فيها).

فنجد مثلًا أخي القارئ اسم الله (البصير) نجد أغلب من يكتب أو يتحدث عن معاني هذا الاسم في حق الله لا يتناول ذلك إلا بالترهيب والتخويف، بأن الله يبصر أعمال الإنسان السيئة ويُحصي عليه ذنوبه ومعاصيه، ومن ثم فالعذاب الشديد ينتظره يوم القيامة إن لم يتب، وهذا حق لا ريب فيه.

لكن لا نجد الكثير ممن يتكلم أو يكتب بأن الله يبصر الأعمال الصالحة ويفرح بعبده حين يراه على طاعته.

فالتوازن في الخطاب يوجب ذكر الجانب الحسن بين العبد وبين ربه، فالكلمُ الطيب منك يراه الرب ويسمعه ويرفعه، ويُبصرك في طاعتك له وبرّك بأهلك وتلاوتك لكتابه، فيفرح الرب بطاعتك وصلاحك.

فيثمر مثل هذا الخطاب الإيجابي في دفعك للقيام بمزيدٍ من الطاعات، ليرَاك الله في أحسن أحوالك، عاملًا للصالحات، آمرًا بالمعروف، قائمًا على حدوده، متقلبًا في الساجدين، تناجي ربك وتدعوه وتستغيث به، فتنشط لذلك حتى يراك الله دائمًا على الحالة التي يحبها وينتظرك أن تكون عليها.

قال تعالى:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩].

وعليه فإن صفحات هذا الكتاب هي رحلة تدبر لأحد أسماء الله الحسنى وصفاته العظمى وهو اسمه ﷻ: (**اللطيف**)، وذلك بالتعمق والتدبر في الآيات التى ذُكر فيها هذا الاسم في كتاب الله، بالإضافة إلى الأحاديث والأقوال والآثار الواردة حول لطف الله تعالى.

فلقد رأيتُ أن خير ما أخدم به الساحة الدعوية والأدبية هو البحث والتفكر في معاني أسماء الله تعالى، للتعرُّف على الله: فهو المقصود الأسمى والمطلوب الأهم من عبادة التفكُّر، وما سلك العابدون طريقًا إلى ربهم أسرع ولا أرحب من التفكُّر.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره قول الْحَسَن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.

وعن الفضيل قال: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

وكانَ سفيان بن عُيَيْنَةَ دَائِمًا يتَمَثل قول أبي العتاهية:

إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فكْرَةٌ ... فِفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عبرَة

وأيضًا: قصدت التجديد في مجال البحث في الأسماء الحسنى والصفات الإلهية، بالتعمق في معرفة المعاني والأسرار الربانية الواردة حول اسم الله (**اللطيف**) في كتاب الله وفي الأحاديث وذكر بعض قصص المرسلين وكذلك عرض قصصٍ من الواقع المعاصر تخدم هذا المعنى.

وكذا أردت أن أوضح لك أيها القارئ في طيات هذه الرحلة بعض الاقتباسات حول اسم الله (**اللطيف**) أو المرتبطة به لكيفية التعايش في ظلال هذه المعاني خلال حياتك اليومية.

فليس المقصود من التدبُّر الوقوف عند المعاني فقط، بل إدراك تلك الحقيقة الأهم التي تقف وراء هذا بممارسة ما نستلهمه منها، للتقرب إلى الله ﷻ، وتعايش النفس بهذه المعاني، وتطبيق ذلك في التعامل بين الناس.

وكذلك التعايش مع اسم الله (**اللطيف**) يُشعرك بالرضا على ما يحدث لك، ويُخرجك من ضيق تفكيرك إلى سِعة تدبير الله، ويدفعك للصبر مهما أصابك من شر وبلاء، فتعيش حياتك بين عطف الله ولطفه، وأيضًا يعينك على التركيز على أهدافك في الحياة وتحقيقها، وتطوير ذاتك للتعامل مع أي عائق تظنه عثرة في طريقك وسعيك.

أسأل الله أن يجعل كتابي هذا علمًا ينتفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما توفيقي إلا بالله، فهو سبحانه الهادي والمنعم علينا بفضله وكرمه.

كتبه

سامح سالم

معنى اسم اللّه اللطيف

أولًا: المعنى اللغوي

اللطيف اسم فاعل من لطَفَ بالفتح

يقال لَطَف به، يلطف لطفًا إذا رفق به، والجمع ألطاف.

وهو لطيف بالأمر: أي رفيق.

وأما لَطُفَ -بالضم- يلطُفُ: أي صغر ودق.

واللطيف من الكلام: ما غَمُض معناه وخفى.

ثانيا: معنى الاسم في حق الله تعالى

قال ابن منظور: اللُّطفُ واللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكرِمةُ والتَّحفِّي. واللَّطيفُ: اسمٌ مِن أسماء اللّه، ومعناه: الرَّفيقُ بعِبادِه.

وقال أبو عمرو بن العلاء: (اللطيف) الذي يوصل إليك أَرَبَك فى رفقٍ، ومن هذا قولهم: لطف اللّه لك أي أوصل إليك ما تحب فى رفقٍ.

ألطَـــــاف

قال الخطابي: (اللطيف) هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويدبر لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ ﴾ [الشورى: ١٩].

وقال ابن الأثير: اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه.

وقال الشوكاني في فتح القدير:

في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٦٣ ﴾: أي لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه إلى كل خفي.

قال ابن القيم في كتابه شفاء العليل: واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية.

وقال السعدي في تفسيره:

(اللطيف) الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، فهو اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، فهو بمعنى (الخبير) وبمعنى (الرؤوف).

- قال ابن القيم في نونيته:

وهو اللطيف بعبده ولعبده — واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة — واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزّته ويبدي لطفه — والعبد في الغفلات عن ذا الشان

وعلى هذا يكون لطفه سبحانه يدور على معنيين عظيمين يحتاجهما المؤمن وهما:

- **المعنى الأول:**

أن الله سبحانه لا يَفُوته من العلم شيءٌ؛ وإن دَقّ وصَغُر، فقد أدرك السرائر والضمائر والخفايا فهو الذي لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، فإنه يعلم السر وأخفى، وقد جاءت الآيات لتؤيد هذا المعنى في كتاب الله ...

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

وذات ليلة تسلل النبي ﷺ برفق من فراش عائشة رضي الله عنها لئلا يوقظها، أراد أن يستغفر لأهل البقيع بأمرٍ من الله تعالى فلحقته عائشة رضي الله عنها متخفية تنظر ماذا يفعل، فلما انحرف راجعًا رجعت عائشة، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فسبقته إلى فراشها كأنها نائمة لكن أنفاسها من الهرولة عالية، فسألها ما بها، فلم تخبره، فقال ﷺ: (لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، فأَخْبَرَتُه وقالت: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) رواه مسلم.

فالله عز وجل عالمٌ بما كان وما يكون، لا يفوته من العلم شيء؛ سَواءٌ ما تجلّى منه وظهر، وكذلك فيما غمضَ مِنَ الأشْياء ولَطفَ.

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فالله لا يخْفى عليه شيءٌ، ولا الخردلة وهي الحبَّة الصغيرة التي لا وزن لها، فإنها ولو كانت في صخرةٍ في باطن الأرض أو في السماوات، فإنَّ الله يأتي بها، فهو اللَّطيف الخبير.

والله تعالى قال: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى عنهم:

﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩].

الآثار الإيمانية حول هذا المعنى:

فإذا علمت أخي القارئ أن ربّك ﷻ متصفٌ بدقة العلم، وإحاطته تشمل كل صغيرة وكبيرة عنك، فعليك أن تجتهد في أداء العمل على خير وجه؛ لأن الله مطلع عليك، يشاهدك ويعلم مكانك.

قال النبيَّ ﷺ في حديث جبريل: (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لم تكن تراه، فإنه يراك**) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

وعليك أيضًا أن تحـــاسب نفسك على أقوالك وأفعالك، وحركاتك وسكناتك؛ لإنك تعلم أيضًا أن الله سبحانه يجازي الناس على أفعالهم يوم الدين، إن كانت خيرًا فخير وإن كانت شرًّا فشر..

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

فتذكر أنك بين يدي الله موقوف، وأنك ستسأل عن القليل والكثير، وعن الصغير والكبير.

قال ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، فحـــاسبوا أنفسكم قبل أن تُحـــاسبوا!!

- **المعنى الثاني الذي يدور حوله لطف الله تعالى:**

إن الله تعالى هو البر بعباده فهو الذي يوصل لعباده المؤمنين مصالحهم، ويدفع عنهم الشر وما أهمهم وأحزنهم بطرق لا يشعرون بها ولا يتوقعونها. ويرفق بهم من حيث لا يعلمون ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

فهو سبحانه ييسر لهم أمورهم ويستجيب دعاءهم، فهو المحسن إليهم في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، وهو الذي يرزقهم بفضله من حيث لا يحتسبون، فمن لُطْفه سبحانه بخلقه خلق الجنين في بطن أمِّه في ظلمات ثلاث:

- ظلمة البطن
- وظلمة الرحم
- وظلمة المشيمة

وهو في بطن أمه يتقلَّب في هذه الأطوار: نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم تُكسى العظام لحمًا؛ فيحفظه ويغذيه حتى ينزل من بطن أمه، فيكفل له من يأخذ بيده ويرعاه حتى يصبح قويًّا ناضجًا يستطيع الاعتماد على نفسه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وإنه للطفه بجميع عباده لا يترك أحدًا منهم بلا رزق، مسلمهم وكافرهم، صالحهم وفاسقهم، وإنه فضل بعضهم على بعض في الرزق جريًا على مشيئته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الشورى: ١٩].

فالله سبحانه يرزق من يشاء ويحرم من يشاء، وفي تفضيل قوم بالمال حكمة؛ ليحتاج البعض إلى البعض؛ كما قال: ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فكان هذا لطفًا بالعباد، وأيضا ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني.

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره فائدة عظيمة، حيث قال: (عطف قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ على صفة ﴿ لَطِيفٌۢ ﴾ أو على جملة ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾: هو تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة.

والمُصانَعَةُ أن تَصنَعَ لغيرِكَ شيئًا ليصنع لك آخَر مقابِلَهُ.

فإن الله قوي عزيز لا يَعجز ولا يُصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شحّ أو قلة فإنه القوي.

والقوي تنتفي عنه أسباب الشح، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر، فرزقه لمن يشاء بما يشاء لحكمة علمها سبحانه في أحوال خلقه عامة وخاصة).

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وكذلك من لطفه ورحمته تعالى باليتيم الذي فقد والده، وهو صغير، غير عارف بمصلحة نفسه، ولا قائم بها أن أمر الله أولياءه بحفظه، وحفظ ماله، وإصلاحه وأن لا يقربوه ﴿ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾: أي بعدم تعريض هذا المال للأخطار، والحرص على تنمية هذا المال وزيادته.

ومن لطفه سبحانه بنا أنْ جعل لنا توبةً مقبولة، وجعل لنا مواسم للعبادة تُضَاعف فيها الحسنات وتُمحى فيها السيئات.

ومن لطفه تعالى أيضًا أن جعل الحسنة الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، أما السيئة فواحدة.

وربنا اللطيف سبحانه هو الذي اجتمع له العلم بكل المصالح، وييسر إيصالها إلى من قدرها له من خلقه، فقد أسبغ علينا أنواع النعم والخيرات، وبين لنا طريق الخير من طريق الشر، كما أنه سبحانه يدفع عنا البلايا والمصائب والمحن، وكل ذلك من لطفه سبحانه وتعالى ورحمته بنا، مع رفق قضائه في الفعل والتنفيذ، **فيلطف بعبده ويلطف له.**

يقول الشيخ الدكتور عبد الرزاق البدر في كتابه فقه الأسماء الحسنى في الفرق بين الاقتران بالباء واللام بقوله:

يقال: **لطف بعبده، ولطف له:** أي تولاه ولاية خاصة بها تصلح أحواله الظاهرة والباطنة، وبها تندفع عنه جميع المكروهات من الأمور الداخلية والأمور الخارجية.

فالأمور الداخلية لطف بالعبد، والأمور الخارجية لطف للعبد.

فإذا يسر الله لعبده وسهل له طرق الخير، وأعانه عليها فقد لطف به، وإذا قيض له أسبابًا خارجية غير داخلة تحت قدرة العبد فيها صلاحه فقد لطف له.

الآثار الإيمانية حول هذا المعنى:

فإذا علمت أخي القارئ أن ربّك سبحانه وتعالى متصفٌ بلطفه في تدبير أحوالك وأمورك وكافة شئونك، دفعك ذلك إلى إحسان الظن به وعدم اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه، مهما تكالبت الهموم عليك، واشتدت النوازل بك.

فقضاء الله كله خير لك، وإن كنت تجهل بعض طرق الوصول إلى ذلك الخير، ومتى وكيف سيتحقق، فيكون همك وسعيك في تحقيق ما أمرك الله به، لا بما قدره الله لك.

امض إِلى اللّهِ للخير مُرتَحِلًا

تفز مِنهُ بِإِلطــافٍ وَرُضوانِ

واقَـض الحَيــاةَ بِتَقوى اللّهِ مُلتَــزِمًا

فِعلَ الفَضــائلِ في ســِــرٍّ وَإِعـــلانِ

يجــرى عَلَيك اللّه غَيــثَ رَحمَتِهِ

وَتَلَقّاكَ بعفوٍ وِغُفــرانِ

مِثْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

قال تعالى:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾

[لقمان: ١٦].

و(المِثْقال): ما يُقَدَّر به الثقل، يعني: ما يُوزَن به الشيءُ.

و(الخَرْدَل) نباتٌ له ساق وله أوراق، لكن حبوبه صغيرة جدًّا في غاية الدقة؛ الواحدة منه تسمى (خَردلة).

ومعنى الآية:

لو كانت حبة الخردل في داخل صخرة صلبة صمَّاء، أو كانت في مكان أبعد من ذلك لا يُدْرَى بها فيه كالسماوات العالية، أو تكن في أي مكان ما في الأرض أو حتى في باطنها يَأْتِ بِهَا اللَّهُ، فكلُّ ذلك في جَنْب علم الله تعالى سواءٌ.

فتأمّل حبّة الخردل..

إنّك لا تكاد تراها إن لم تدقق فيها النظر..

انظر إلى حجمها إن وضعتها في يدك..

ثم قمت بوضعها في صندوق مثلًا..

ثم قارن حجمها بالأرض.. أو بحجم السماوات الواسعة..

ومع هذا كله إن أرادها اللّه فسيأتي بها إن اللّه لطيف خبير..

كما قال سبحانه وتعالى عن نفسه:

﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ [سبأ: ٣].

ومعنى لا يعزب: أي لا يغيب.

فاللّه ﷻ لا يفوته من العلم شيء، وإن دقَّ أو صغُر أو خفي، أو كان في مكان سحيق.

يَأْتِ بِهَا اللَّهُ

لما قال تعالى: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ لم يقل: (يعلمها الله)؟؟

لأنّ "يأت بها الله" أبلغ، فمجرد العلم لا يدل على القدرة؛ فقد تعلم أنت أنّ شيئًا داخل صندوق ولكنك لا تقدر على فتحه، فقوله تعالى: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ يدل على العلم مع بالغ القدرة.

لذلك فالتعقيبُ بوصفه (لَطِيف) بعد قوله تعالى: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ فيه إشارةٌ إلى التمكُّن منها والقدرة عليها بكيفيَّةٍ دقيقةٍ تُناسب فَلْقَ الصخرة واستخراج الخردلة منها، فيستخرج ﷻ هذه الخردلة سليمةً، وتكون الصخرة على هيئتها لا تنكسر أو تتفتت عند استخراجها منها؛ ولا ينبني على ذلك الإتيان فسادٌ للخردلة نفسها عند استخراجها أو حتى فساد ما حولها.

فالله الذي بلغ بلطفه أن يأتي بحبة الخردل من متاهات هذا الكون العظيم، قادر على أن يسوق إليك قَدرًا طال انتظاره، وتشتاق لحدوثه، رغم أن كل أسباب وقوعه أمامك تراها لا توصله إليك، ولا تدلّه عليك، نعم، إن الله لقادر...

فقُل لكلِّ أمنية طال انتظارها..

لكلِّ حاجة سألتَها الله مستغنيًا عن النّاس..

لكلِّ فرصة ضاعت عليك واحترق قلبك عليها..

لكلِّ إنجاز كنت تسعى دائمًا لتحقيقه..

لكلِّ دعوة دعوت بها وكنت ترددها في سجودك..

لكلِّ أحلامك وإن كنت تراها مستحيلة..

لكلِّ هؤلاء، خذ نفسًا عميقًا ثم قُل بيقين:

﴿ يَٰٓأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦].

فواللّٰه لو كان بينك وبينها أسفار وبحار، وكنت تظنها فوق قمم الجبال، أو في بلاد ما وراء الأنهار، يأتِ بها دائمًا مثلما تريد، بل وأحسن مما تريد.

يأتِ بها وإن تأخرت لسبب يعلمه سبحانه ولا تعلمه.

يأتِ بها في الوقت المناسب تمامًا، وبالطريق التي لم تكن تخطر لك على بال، وفي لحظة قريبة لم تكن تتوقعها.

فاللّٰه بلطفه وقدرته ييسر لك العسير، ويمهد لك الطريق، ويهيئ لك الأسباب، وإن أُغلقت كل الأبواب، وإن غابت كلُّ الاحتمالات،

فلا تخشَ تشتتها، ولا تحزن لاستحالتها،

فحين تشعر أن المنافذ جميعها مُغلقة،

سيصل إليك لُطف اللّٰه ولو من المنفذ المستحيل!!

إنه هو اللطيف الخبير.

يا ألطـــاف الله !!

أفاض الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في بيان صور وحالات من لطف الله بعباده في كتبه ومصنفاته فقال: اللطيف جل جلاله الذي لا يخفى عليه شيء من خلقه، وهو الذي يوصل رحمته لهم بالطرق الخفيّة، فيلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويوصل برّه وإحسانه إليهم ويرعى لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، ويرفعهم إلى المنازل الرفيعة من خلال أمور قد يكرهونها.

ـ فمن لطفه: أنه يرحمهم من طاعة أنفسهم الأمَّارة بالسوء، التي هذا طبعها وداؤها، فيوفقهم لنهي النفس عن الهوى، ويصرف عنهم السوء والفحشاء.

فإذا وُجدت أسبابُ الفتنة، وجواذب المعاصي، وشهوات الغيّ، أرسل الله عليها برهان لطفه، فيدعونها ويتركونها مطمئنين لذلك، منشرحة لتركها صدورهم.

ـ ومن لطفه بعباده: أنه يقدر أرزاقهم بحسب علمه بمصلحتهم لا بحسب مرادهم، فقد يرون شيئًا وغيره أصلح لهم، فيقدر لهم الأصلح -وإن كرهوه- لطفًا بهم برًّا وإحسانًا.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الشورى: ١٩].

- ومن لطيف لطفه بعبده إذ أهَّلَه للمراتب والمنازل العالية أن يُقدر له في ابتداء أمره بعض الأسباب المحتملة المناسبة للأسباب التي أُهِّل لها التي يقدرون عليها ويتحملونها ابتداءً، ليتدرج من الأدنى إلى الأعلى، ولتتمرن نفسه، ويصير له ملكة من جنس ذلك الأمر.

وهذا كما قدر لموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في ابتداء أمرهم رعاية الغنم؛ ليتدرجوا من رعاية الحيوان البهيم وإصلاحه إلى رعاية بني آدم ودعوتهم وإصلاحهم.

- ومن لطفه بهم أيضًا أنه يُقدرُ عليهم أنواع المصائب، وضروب المحن والابتلاء بالأمر والنهي الشاق رحمة بهم ولطفًا، وسوقًا إلى كمالهم وكمال نعيمهم، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

- ومن لطفه بعباده: أن يربيهم في ولاية أهل الخير والصلاح والعلم والإيمان فينشئوا بينهم ليكتسبوا منهم أدبهم وتأديبهم، ويكبروا على صلاحهم وإصلاحهم كما امتنَّ الله على مريم في قوله تعالى:

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [ال عمران: ٣٧].

فإن هذا من أعظم لطفه بعبده، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة، من أكثرها وأعظمها نفعًا النشأة في بيئة صالحة.

- ومن لطف الله بعباده أن يجعل رزقهم حلالًا في راحة وقناعة، يحصل به المقصود ولا يشغلهم عما خلق له من العبادة والعلم والعمل، بل يُعينهم على ذلك ويفرغهم له، ويريح خاطرهم وأعضاءهم، وهذا من لطف الله تعالى بعباده.

- ومن لطف الله بعباده إذا قدر له طاعة جليلة لا تُنال إلا بأعوان: أن يقدر لهم أعوانًا عليها ومساعدين على حملها؛ قال موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ ﴾ [طه: ٢٩-٣٣].

- ومن لطف الله بعباده: أن يعطيهم من الأولاد والأموال والأزواج ما به تقرُّ أعينهم في الدنيا، ويحصل لهم به السرور، ثم يبتليهم ببعض ذلك، وبأخذه ويعوضهم عليه الأجر العظيم إذا صبروا واحتسبوا، فنعمةُ الله عليهم بأخذه على هذا الوجه أعظم من نعمته عليهم في وجوده وبقائه.

- ومن لطف اللّٰه بعباده: أن يبتليهم ببعض المصائب، فيوفقهم للقيام بوظيفة الصبر فيها، فيُنيلُهم درجاتٍ عالية لا يدركونها بعملهم، وقد يشدد عليهم الابتلاء بذلك، كما فُعِلَ بأيوب عليه السلام، ويوجِد في قلبه روح الرجاء، وتأميل الرحمة، وكشف الضر، فيخفف ألمه، وتنشط نفسه، وهذا من لطف اللّٰه بالمؤمنين أن جعل في قلوبهم احتساب الأجر، فخفت مصائبهم، وهان ما يصيبهم من المشاق في حصول مرضاته.

- ومن لطف اللّٰه بعبده المؤمن الضعيف: أن يعافيه من أسباب الابتلاء التي تضعف إيمانه، وتنقص من يقينه، كما أن من لطفه بالمؤمن القوي: تهيئة أسباب الابتلاء والامتحان ويعينه عليها، ويحملها عنه ويزداد بذلك إيمانه ويعظم أجرُه، فسبحان اللطيف في ابتلائه وعافيته، وعطائه ومنعه.

- ومن لطف اللّٰه تعالى بعبده: أن يجعل ما يبتليه به من المعاصي سببًا لرحمته، فيفتح له عند وقوع ذلك باب التوبة والتضرع، والابتهال إلى ربه، وازدراء نفسه واحتقارها، وزوال العُجب والكبر من قلبه ما هو خير من كثيرٍ من الطاعات.

- ومن لطف الله بعبده: قدّر الواردات الكثيرة، والأشغال المتنوعة، والتعلقات الداخلة والخارجة التي لو قسمت على أمةٍ من الناس لعجزت قواهم عليها، فيمنّ عليه بخلقٍ واسع، وصدر متسع، وقلبٍ منشرح، بحيث يُعطي كل فردٍ من أفرادها نظرًا ثاقبًا وتدبيرًا تامًّا وهو غير مكترث ولا منزعج لكثرتها وتفاوتها، بل قد أعانه الله تعالى عليها، ولطف به فيها، ولطَفَ له في تسهيل أسبابها وطرقها.

- ومن لطفه بعبده الحبيب عنده: إذا مالت نفسه مع شهوات النفس الضارة، واسترسلت في ذلك، أن يُنغصها عليه ويكدرها، فلا يكاد يتناول منها شيئًا إلا مقرونًا بالمكدرات، محشوًّا بالغصص؛ لئلا يميل معها كل الميل، كما أن من لطفه به أن يُلذذ له التقربات، ويحلي له الطاعات؛ ليميل إليها كل الميل.

- ومن لطيف لطف الله بعبده: أن يأجره على أعمالٍ لم يعملها بل عزم عليها، فيعزم على قُربةٍ من القُرب ثم تنحل عزيمته لسبب من الأسباب فلا يفعلها، فيحصل له أجرها، فانظر كيف لطف الله به! فأوقعها في قلبه، وأدارها في ضميره، وقد علم تعالى أنه لا يفعلها.

- وألطف من ذلك: أن يقيض لعبده طاعة أخرى غير التي عزم عليها، هي أنفع له منها، فيدع العبد الطاعة التي تُرضي ربه لطاعة أخرى هي أرضى لله منها، فيتحصل له أجران؛ أجر المفعولة بالفعل والمعزومة عليها بالنية.

ـ وألطف من هذا كذلك: أن يقدر تعالى لعبده ويبتليه بوجود أسباب المعصية، ويوفر له دواعيها، وهو تعالى يعلم أنه لا يفعلها؛ ليكون تركه لتلك المعصية التي توفرت أسبابُ فعلها من أكبر الطاعات، كما لطف بأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله: (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله).

ـ ومن لطف الله بعبده: أن يفتح له بابًا من أبواب الخير لم يكن له على بال، وليس ذلك لقلة رغبته فيه، وإنما هو غفلة عن ذلك الطريق، فلم يشعر إلا وقد وجد في قلبه الداعي إليه، واللافت إليه، ففرح بذلك، وعرف أنها من **ألطاف** سيده وطُرقه التي قيض وصولها إليه، فصرف إليها فكره، وأدرك منها ما شاء الله وفتح.

ـ ومن لطف الله بعبده: أن يُجري بشيءٍ من ماله شيئًا من المنافع وخيرًا لغيره، فيثيبه من حيث لا يحتسب، فمن غرس غرسًا أو زرع زرعًا فأصابت منه روح من الأرواح -منهم البهائم والطير- شيئًا آجر الله صاحبه وهو لا يدري، خصوصًا إذا كانت عنده نية حسنة، وعقد مع ربه عقدًا، فقال: أسألك يا رب أن تأجرني، وتجعله قربةً لي عندك... ككتابٍ انتفع به في تعلم شيء منه، أو مصحف قُرئ فيه، والله ذو الفضل العظيم.

- ومن لطف الله بعبده: من كان عمله صالحًا، وهو مستقيم في غالب أحواله، ولكن يصدر منه أحيانًا بعض الذنوب الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى وبعض الآلام في بدنه، أو قلبه، أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك فإنها مكفرات للذنوب لطفًا من الله بعباده.

- من لطفه أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى إنه يقدر عليه الأمور التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين.

- من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، لمحقتهم العقوبة ولكنه تعالى يمهلهم ولا يهملهم، ويعفو عن كثير.

وأخيرًا من لطف الله تعالى بالعباد: أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه؛ لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك نيتهم بالصدقة والمعروف عند التيسير عبادة حاضرة؛ لأن الهم بفعل الحسنة حسنة.

سيعوضك الله

لأنه يعرف أنك كنت دائمًا تحسن الظن به

فما يئست ولا قنت ولا شككت في لطفه بك

حتى في أصعب اللحظات المظلمة عليك

فكلما اشتدت عليك كربة في دنياك

تهادى على سمعك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وينبغي على كلّ واحد منا أن يتدبر الآيات التي وردت فيها أسماء الله الحسنى مقترنة بعضها ببعض ليعرف سبب هذا الاقتران وكذلك حكمة هذا الترتيب، فقد ورد اسم الله (**اللطيف**) سبع مرات في كتاب الله، واقترن في خمس مرات بـ(الخبير) ولم يقترن بغيره من الأسماء الحسنى.

أما اسم الله (الخبير) اقترن بـ(الحكيم) و(البصير) و(العليم)، فهو سبحانه: (الحكيم الخبير) و(العليم الخبير) و(اللطيف الخبير)،

ومع (البصير) أتى قبله فهو سبحانه (الخبير البصير)،

يقول الشيخ ابن سعدي في القواعد الحسان لتفسير القرآن:

عليك بتتبع الأسماء الحسنى في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها. وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف. وأشرف العلوم.

فمثلًا جاء في أحد المواضع من كتاب الله سبع آيات متتالية في سورة الحج (من الآية: ٥٩ إلى ٦٥) هذه الآيات خُتمت بأربعة عشر اسمًا من أسماء الله الحسنى...

١- ﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ٥٩ ﴾.

٢- ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٦٠ ﴾.

٣- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ﴾.

٤- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ ﴾.

٥- ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣ ﴾.

٦- ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤ ﴾.

٧- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

ففواصل هذه الآيات وغيرها في مواضع كثيرة من كتاب الله ﷻ والتي يتكرر فيها ذكر الله بأسمائه وصفاته وغيرها من الآيات جديرة بالتدبر الطويل والتأمل العميق، فالمتأمل في ترتيب الأسماء الحسنى المقترنة في خواتيم الآيات يجده ترتيبًا عجيبًا.

فبعض الأسماء المقترنة تلتزم ترتيبًا واحدًا لا يختلف أبدًا، فمن ذلك:

- العزيز الحكيم: اقترنا في فواصل الآيات (٤٧) مرة، في جميعها العزيز قبل الحكيم.
- السميع العليم: اقترنا في فواصل الآيات (٣٢) مرة، في جميعها السميع قبل العليم.
- العزيز الرحيم: اقترنا في فواصل الآيات (١٣) مرة، في جميعها العزيز قبل الرحيم.

- السميع البصير: اقترنا في فواصل الآيات (١٠) مرات، في جمعيها السميع قبل البصير.
- الرحمن الرحيم: اقترنا في فواصل الآيات (١٣) مرة، في جميعها الرحمن قبل الرحيم.
- الخبير البصير: اقترنا في فواصل الآيات (١٠) مرات، في جميعها الخبير قبل البصير.
- الغني الحميد: اقترنا في فواصل الآيات (١٠) مرات، في جميعها الغني قبل الحميد.
- التواب الرحيم: اقترنا في فواصل الآيات (٩) مرات، في جميعها التواب قبل الرحيم.

وبعضها لا تلتزم ترتيبًا واحدًا بل تتناوب في التقديم والتأخير، فمن ذلك:

- الحكيم العليم: اقترنا في فواصل الآيات (٣٦) مرة، في جميعها العليم قبل الحكيم إلا (٧) مواضع.

- الغفور الرحيم: اقترنا في فواصل الآيات (٧٢) مرة،

في جميعها الغفور قبل الرحيم إلا في موضع واحد.

- غفور حليم: اقترنا في فواصل الآيات (٦) مرات،

في جميعها الغفور قبل الحليم إلا في موضعين.

ففواصل هذه الآيات وغيرها جديرة بالتدبر الطويل والتأمل العميق وذلك بالبحث في كل آية تختتم بالأسماء الحسنى في عدة أمور:

- ✓ الأول: وجه المناسبة بين الأسماء الحسنى والآية التي ختمت بها.
- ✓ الثاني: وجه الاقتران بين الأسماء الحسنى المقترنة في آخر الآية.
- ✓ الثالث: وجه الترتيب بين الأسماء الحسنى المقترنة في آخر الآية.

ومن أفضل الكتب والأبحاث التي تناولت دراسة ذلك كتاب: (الأسماء الحسنى في فواصل القرآن: التناسب والصياغة) تأليف الدكتور: عبد الغني أحمد النفاض، وذلك في ستة مجلدات، حيث اهتم مؤلفه بذكر المناسبة بين الأسماء الحسنى الواردة في فواصل الآيات وبين معنى الآية، وذكر وجه الاقتران بين الاسمين الكريمين، ووجه الترتيب بين الاسمين الكريمين.

اقتران اسم اللطيف بالخبير

رجوعًا إلى اقتران (اللطيف) بـ (الخبير) نجد أنهما وإن كانا يتلاقيان في المعنى فيرتبطان بعلم الله تعالى وخبرته، إلا أن المعنى بينهما ليس متطابقًا، لكنهما يشتركان في بعض المعنى.

ووفق قاعدة (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) ...

صار معنى (الخبير): العليم ببواطن الأمور.

أما (اللطيف) فهو: العليم بدقائق الأمور، فيكون أدق من الخبير

أما عند إفراد أحدهما فهو متضمن للاسمين معًا.

فالذي عليك أخي القارئ هو تدبر اقتران هذين الاسمين، لتعلم رحمة ربك وسعة فضله، فإنه (خبير) بك، لا يخفى عليه شيء من أمرك، فلا يلطف بك إلا من عرفك وكان خبيرًا بمواطن ضعفك وقوتك وبكل أحوالك، فهو يلطف بك حتى مع ما يكون في بعض أعمالك من معصية وذنب، وأن الاعتراف بالذنب ينبغي أن يتبعه توبة وأمل وحسن ظن بالله، وسؤال الله تعالى ابتغاء لطفه..

فيقع في قلبك اليقين لمعانيهما، وتوقن أن (الخبير) بحالك، لا يقضي لك إلا ما فيه العاقبة الحميدة في لطف، فتنظر الفرج حال الشدة، واليسر حال العسر، ولا تقطع أملًا في رحمة الله (اللطيف الخبير).

ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٩].

معنى لْيَتَلَطَّفْ: أي التعامل بخفاء

فكان على أصحاب الكهف أن يستعينوا على قضاء حاجتهم بالكتمان؛ حتى لا يتضح أمرهم ويُردوا إلى قومهم، فطلبوا ممن أرسلوه لشراء الطعام أن يكون لطيفاً، وأن يتخفى، وألا يُعلن عن شخصيته، وليأتِ بهذا الطعام خِلسةً، دون أن يُعرف، ودون أن يَعرف الناس أين مقرهم، لأنهم مضطهدون، مستضعفون، ملاحقون ومعذبون.

فالكتمان في هذا الموضع مأمور به، وهو من الحذر الواجب، ومن الأخذ بالأسباب، وليس من الشجاعة أن يعلن قلة من الضعفاء أمرهم أمام جيوش الأقوياء، وليس من الجبن أن يكون مختفيًا آنذاك.

كما قال سبحانه وتعالى عن موسى:

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١].

فالإنسان إذا كان في خطر ينبغي له أن يكون خفيفًا متلطفًا وألا يظهر نفسه وما يخطط له حتى لا يظفر به أعداؤه، وفي الكتمان من المصالح ما لا يحصى أثره إذا استعمل في موضعه.

وهكذا أنت ـ أيها القارئ ـ حالك في هذه الحياة التي لا تخلو من المشكلات، والوصول إلى حلول هذه المشكلات لا بد له من تلطف وهدوء وتأنٍ، فكلما كبرت المشكلة زادت الحاجة للهدوء والتروي.

فكلَّما كبرت حجم المشاكل في حياتك قاومها **باللُّطف** والهدوء والتأنِّي!!

فأصحاب الكهف حينما تلطَّفوا جعل الله ذلك سببًا في نجاتهم وحل مشاكلهم.

وليتلطف

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: وليتلطف هي في وسط القرآن تمامًا، فالذي قبلها من آيات وكلمات القرآن وما بعدها متساوٍ.

فالتلطف هو نوع من التوسط والوسطية دون إفراط أو تفريط، فهي جاءت في وسط القرآن تمامًا، وكونها في وسط القرآن فهذا يدل على أهمية الوسطية وأن لها دلالة على الوسطية التي هي فرع أو جزء أو أثر من آثار التلطف ...

ومبدأ الوسطية في أحوالنا مبدأ هام للغاية لتحقيق التوازن الذي تقوم عليه سُنَّة اللَّه في خلقه، وفق نظام رباني، ومشيئة وحكمة إلهية، وتقدير مسبق، وثوابتَ وسننٍ لا تبديل لها، فإذا فَقَدنا الوسطية في حياتنا، أصبحت إما إفراطًا أو تفريطًا.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالتلطف هو نوع من التوسط والوسطية، دون إفراط أو تفريط.

- **تلطف**.. بجميع من حولك، وكن دائم السعي للوفاق بين المتخاصمين، وتهلل في وجوههم.

فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول اللّه ﷺ قال: (يا عائشة، إنّ اللّه رفيقٌ يُحب الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف)

- **تلطف**.. فلا بد أن تكون هينًا لينًا، فعن عبد اللّه بن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ومن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل).

- **تلطف**.. فقد قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

فلقد كان النبي ﷺ أعظم الناس لطفًا، فلذا اجتمع الناس حوله ﷺ، ولو كان ﷺ فظًا لانفض الناس عنه، فاللطف من الرحمة ومن عامل الخلق بصفة يحبها اللّه ورسوله، عامله اللّه تعالى بتلك الصفة في الدنيا والآخرة، فالجزاء من جنس العمل.

- **تلطف**.. فغاية التودد والتلطف واللين هو شعار أصحاب الكهف في تعاملاتهم، هذه هي أخلاق المسلمين.. فلطف الرد يبني قصورًا من الورد.

- **تلطف**.. وكأنها قاعدة في التعامل التجاري،

أصحاب الكهف قالوا لصاحبهم تلطف لإيمانهم أن اللطف هو أسلوب وسلوك يجدون به أذكى الأكل بأفضل الأسعار.

- **تلطف**.. حتى مع الخصوم فقد قال تعالى لنبيه موسى وأخيه هارون: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

- **تلطف**.. وقول "قولًا لينًا".. فانظر للطف الله ورحمته في دعوة المتجبرين كفرعون الذي قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ فكيف هي رحمته بمن يقول في صلاته: سبحان ربي الأعلى!!

- **تلطف**.. في تجارتك أو عند تسوقك فرَحِمَ الله عبدًا سهلًا إذا باع، سهلًا إذا اشترى، سهلًا إذا اقتضى.

- **تلطف**.. ألم يأمر ربنا ﷻ بلين الكلام لكل الناس، فقال: وقولوا للناس حسنا؟!..

- **تلطف**.. واختر لطائف القول في حديثك مع الآخرين، فلن تكسب الآخرين أن لم تعتنِ بكلماتك وردود أفعالك.

- **تلطف**.. لا تكن السبب في البلبلة وإثارة الجدل وكلام الناس حولك والأقلام المأجورة ضدك وضد من حولك!!

- **تلطف**.. لا يكفي أن يكون كلامك حقًّا وصوابًا؛ لا بد من أسلوب **لطيف**، **ولفظ** عفيف، وقصد شريف.

- **تلطف**.. وتواضع مع الآخرين عند إنجازك وطريقك للصعود لأنك ربما تقابلهم حال فشلك في طريقك للهبوط!!

- **تلطف**.. مع الجميع، فالبعض يعاني من وجع الحياة وأنت لا تعلم.

- **تلطف**.. مع والديك وأحسن برهما في الواقع لا بكلام معسول في منشوراتك على صفحات المواقع.

المسافر

يحكى أن رجلًا كان مسافرًا عبر الصحراء، فلما اشتد عليه الحرّ بشكلٍ كبير، وأصبحت الشمس ترسل عليه أشعتها الحارقة، وتزداد الرمال حرارة وهو لا يستطيع السير عليها من شدة حرارتها، وقد استنزف الرجل كل المؤن التي كان يحملها معه من ماء وطعام وكل شيء، أخذ الرجل يبحث عن الماء في كل مكان، وينظر يمينه ويساره، حتى شاء الله تبارك وتعالى أن يجد بئرًا من الماء وسط الصحراء، فرح الرجل فرحًا شديدًا، وقد حمد الله كثيرًا على تلك النعمة التي منحه إياها، فلقد كاد أن يموت من شدة العطش.

وعندما وصل الرجل إلى البئر، فإذا هي بئر عميقة للغاية لا يُرى بها أي شيء سوى لمعة الماء في آخرها، نظر الرجل حول البئر فلم يجد أي شيء من دلو أو حبال يمكن أن يقوم بإنزالها إلى البئر حتى يشرب، فقرر الرجل أن ينزل بنفسه إلى داخل البئر حتى يشرب منها، وبالفعل نزل الرجل وأخذ الكثير من الماء فظل يشرب ويشرب حتى ارتوى بشكل كامل، وأخذ يحمد الله تبارك وتعالى على نعمة الماء.

وبعد أن انتهى صعد مرة أخرى خارج البئر، واستعد للرحيل فإذ به يرى كلبًا يظهر عليه العطش الشديد، ولا يستطيع ذلك الكلب أن يقف على قدمه من شدة العطش.

فأشفق عليه وعلى حالته وفكر في نفسه فقد كان يشعر بنفس العطش الذي يشعر به الكلب الآن، وأن الله جعله يرى البئر حتى يرتوي ويشرب منها. فسارع الرجل على الفور وقام بخلع نعله ووضع فيه بعض الماء وأقرب النعل للكلب، فنظر الكلب إلى الماء وأخذ يشرب منه.

تلك القصة مستوحاة من حديث النبي الكريم ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم عن الرفق بالحيوان قال: (بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له.

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟

فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر.

فإذا كنت لطيفًا رفيقًا مع من حولك، فإن الله سبحانه سيلطف وسيرفق بك في الدنيا ويوم القيامة، وكلما كنت لطيفًا كنت سببًا في سعادة من حولك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وكم من لطف حبّب ورقق قلوبًا، وأصلح علاقات، وطيب نفوسًا.

فقد كان النبي ﷺ يدعو فيقول: (اللهم مَنْ وَلِي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به). رواه مسلم.

التلطف ..
بين المُداراة والمُداهنة

- **المُداراة:**

التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل، وأن تتنازل عن شيء من أمور الدنيا لأجل كسب القلوب وإبداء اللطف.

- **المُداهنة:**

التلطف بالإنسان لتقرّه على باطله وتتركه على هواه، وأن تتنازل عن شيء من أمور الدين لكسب الدنيا.

فالمُداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين، وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له.

كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه. والتودد إليه ونصحه لتصحيح خطئه أو لتوجيه فيما ينفعه ويفيده أو يفيد غيره.

وجاء في الحديث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أن رجلا استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه النبي قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة)،

فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه،

فلما انطلق الرجل قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه.

فقال ﷺ:

(يا عائشة متى عهدتني فحاشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره).

فالنبي ﷺ دارى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل على أن المداراة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفاً لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ أن حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ

ذكر القرطبي في تفسيره عن الحسين بن فضل قوله:

(اللّه لطيف بنا في القرآن في تفصيله وتيسيره)

يعني: أن من لطفه ﷻ أنه نزل هذا القرآن العظيم

فيسَّر للعباد حفظه

ويسَّر لهم فهمه،

ويسَّر لهم تلاوته

ويسَّر لهم العمل به،

وهذه كلها تيسيرات **وألطاف**

جعلها اللّه تبارك وتعالى لهذا القرآن العظيم

ثم إنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه

وإعادة الفكر فيه مرة بعد مرة تدرك بركته وخيره.

ألطاف نزول المطر

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الحج: ٦٣].

يقول ابن كثير في تفسيره: (وهذا أيضًا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه، وأنه يرسل الرياح فتثير سحابًا فيمطر على الأرض الجرز، التي لا نبات فيها وهي هامدة يابسة سوداء ممحلة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، فتصبح الأرض مخضرة، أي خضراء بعد يبسها وتحولها، إن اللّه لطيف خبير، أي عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها، لا يخفى عليه خافية).

فمن بديع الرّبط بين موضوع الآية وخاتمتها، أن الله يعلم مواقع القطر من الأرض، ويعلم أماكن بذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى تلك البذور، فينبت منه أنواع النبات الخضراء.

فانظر كيف ختم آية ذكر (المطر) بلطفه جل وتعالى..

فهذا الماء الذي ينزل من السماء في بعض الأحيان قد تكون معه الهلاك والدمار.

وقد يقع معه أن تصبح الأرض نابتةً مخضّرة، ومع ذلك فهو في كلا الحالين فيه (**لطف**) بالعباد بلطف الله تعالى..

فإن الكوارث التي قد تحدث بسبب المطر.. قد يحدث بعدها توبة وعودة، وإصلاح وتغيير..

فسبحانه وتعالى اقترن اسمه (**اللطيف**) باسمه (**الخبير**)..

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

ورد قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ثلاث مرات في كتاب الله...

الموضع الأول في سورة الحج:

قال تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣ ﴾ [الحج: ٦٣].

والمعنى:

ألم ترَ أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض مخضرة بما ينبت فيها من النبات، إن الله لطيف بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم.

الموضع الثاني في سورة فاطر:

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فاطر: ٢٧].

والمعنى:

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً، فسقينا به أشجارًا في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها.

هذه الأشجار منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك، وخَلَقْنا من الجبال طرائق بيضًا وحمرًا مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبالًا شديدة السواد.

الموضع الثالث في سورة الزمر:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزمر: ٢١].

والمعنى:

ألم تر أن الله أنزل من السحاب مطرًا فأدخله في الأرض، وجعله عيونًا نابعة ومياهًا جارية، ثم يُخْرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه، ثم ييبس بعد خضرته ونضارته، فتراه مصفرًا لونه، ثم يجعله حطامًا متكسِّرًا متفتتًا؟

إن في فِعْل الله ذلك لَذكرى وموعظة لأصحاب العقول السليمة.

سبحان الله الآيات ليس فيها تكرار ولكن بضم الآيات بعضها لبعض يكتمل المعنى وتتضح الصورة:

١- في سورة الحج: (إجمال) تصبح الأرض مخضرة دليل على خصوبة الأرض والخير العميم واللون الأخضر يشيع البهجة في النفوس

٢- ثم في سورة فاطر: (تفصيل) ثمرات مختلفًا ألوانها والفاكهة والتركيز على الألوان التي خلقها الله في هذه الدنيا ونوعها لنسعد بها، فتخيل لو كان كل ما في هذه الدنيا أبيض وأسود فقط؟؟

٣- ثم سبحان الله في سورة الزمر، الله عز وجل حفظ لنا الماء عيونًا نابعة ومياهًا جارية، ثم يُخْرج بهذا الماء زرعًا مختلفًا ألوانه وأنواعه، والتركيز أيضا على الألوان والبهجة في هذه المناظر ولكن بين سبحانه عبرة لنا: أن كل ذلك نهايته إلى حطام وزوال وهذا حال الدنيا فاعتبروا يا أولي الألباب.

ولذلك تلك الآيات بدأت بـ (ألم تر)؟؟

بلى وربنا نرى الروعة والجمال ولطف الله بعباده وفي خلقك.

ولا نملك إلا أن نسجد لله تبجيلًا وتعظيمًا فالحمد لله رب العالمين.

ألطاف الإله جل في علاه

الله تعالى هو البر بعباده، فهو الذي يُوصل لعباده مصالحهم، ويدفع عنهم الشر وما أهمهم وأحزنهم بطرق لا يشعرون بها ولا يتوقعونها، ويرفق بهم من حيث لا يعلمون ويرزقهم من حيث لا يحتسبون

فعندما نكون جزءًا من الأحداث الجارية ربما يصعب علينا أن نرقب ونلاحظ لطف الله بنا وأن نعرف الأسرار الإلهية في مجريات الأمور، لا سيما على المدى البعيد؛ لأننا نعيش وسط الأحداث ولا نعرف العواقب.

ولكن عندما ننظر إلى الأحداث من بعيد بعد انتهائها، فنشهد أولها كيف ابتدأت، وكيف تسلسلت الوقائع، ثم ما آلت إليه المسائل؛ نستطيع حينها أن ندرك الحكم وأن نستنبط الفوائد، ونستطيع أن نلمح ألطاف الإله جل في علاه ...

ألطَـــــاف

يقول ابن القيم في كتابه شفاء العليل: (الله سبحانه يلطف لما يريده فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية.

وكذلك ما فعله الله بلطفه بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء، وهي في الباطن طرق خفية، أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم).

فالصفحات التالية أيها القارئ الكريم تجد فيها بعض مشاهد لطف الله بأنبيائه وأوليائه وعباده الصالحين...

لطف الله بنبيه يوسف عليه السلام

إن القصص التي يذكرها الله في كتابه هي القصص الحق فمنها نتعلم العبر والدروس والمواعظ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: ١١١]، وفي قصة يوسف عليه السلام قدر الله له أحداثًا كثيرة عادت بعد تسلسل طويل من مشاهد مؤلمة متعاقبة إلى نهاية سعيدة على يوسف وأبيه عليهما السلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فقد جاء في هذه الآية بيان أن ما وقع ليوسف عليه السلام من ابتلاءات ومحن، ما هو إلا لحكمة ربانية، ورسالة تدلنا على لطيف تدبير الله تعالى في تلك الأحداث، وأن الله تعالى إذا أراد شيئًا أعد له أسبابه التي تؤدي إليه في حال من اللطف والخفاء على الناس الذين ربما لا يدركون إلا ظواهر الأسباب، ويغفلون عما يدبره الله تعالى من مآلات هي مقتضى حكمته ﷻ وعلمه وقدرته ومشيئته.

والخلاصة من سرد تلك القصة التي حوت أحداثًا عظيمة ومنعطفات كثيرة، أن ما ذكره الله تعالى في هذه الآية عن يوسف وقوله لوالده بعدما تحققت رؤياه وتم ما أراده الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾[يوسف: ١٠٠]، فلطف الله هو المعنى والرابط لأحداث القصة من بدايتها إلى نهايتها، عبر تسلسل الأحداث التي مر بها يوسف عليه السلام بدايةً من مرحلة البلاء الذي تعرض له وحتى مرحلة التأييد والتمكين.

حيث بدأت برؤيا يوسف وهو صبي صغير، وانتهت بتأويل وتحقق تلك الرؤيا، وكيف تدرج الأمر من تخطيط أخوته لقتله، ثم إلقائه في البئر، إلى كونه سلعة تباع بسعر زهيد، إلى أن يكون سجينًا، ثم يكون له من الشأن العظيم والسلطان في مصر ما كان بإذن الله تعالى، بطرق خفية تؤدي دائما إلى حقيقة إيمانية عظيمة ألا وهي اليقين المطلق بأن الله لطيف لما يشاء.

وهذه الحقيقة الإيمانية العظيمة تجعل قلبك أيها القارئ الكريم على يقين بأنه لا جزاء للإحسان إلا الإحسان وأن الثواب العاجل والآجل من الله تعالى، وأن قدر الله لك في كل أمرك هو خير لك، وإن كنت تجهل بعض طرق الوصول إلى ذلك الخير، ومتى وكيف سيتحقق، فيكون همك وسعيك في تحقيق ما أمرك الله به لا بما قدره الله لك.

كما ذكر ابن تيمية رحمه الله في مجموع فتاويه في الفرق بين إرادة الله القدرية الكونية وإرادة الله الشرعية.

(فالحكم الكوني هو ما شاءه الله تعالى وقدر وقوعه، أما الحكم الشرعي فهو ما طلب الله من العباد تطبيقه والعمل به.

فإنّ أمر الله الشرعي طريق واضح وعليه نور، وزمامه وحي معصوم، وأما قدر الله وما تنتهي إليه عواقب الأمور فغيب مستور لا يعلمه إلا الله، وقدر الله إنما يتحقق وفق حكمة الله وعدله، فلا فوضى مع حكمته، ولا ظلم مع عدله، فهو اللطيف الخبير).

تفاصيل أحداث القصة ومشاهد اللطف فيها

في مطلع السورة تبدأ القصة بالرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام وهو لا يزال صغيرًا، فيقص الرؤيا على والده يعقوب عليه السلام الذي علم أنها رؤيا حق من عند الله، وأن من تفسيرها أنه سيكون ليوسف عليه السلام شأنٌ عظيم ومكانة خاصة يختصه الله بها عن سائر إخوته، لكنه لا يعلم كيف سيكون تدبير الله تعالى لذلك.

ويوصي الأب ابنه أن يُخفي الرؤيا عن إخوته حتى لا يحسدونه ويكيدون له، لكن إخوته حسدوه بالفعل لمكانته عند أبيهم وحبه له، الأمر الذي كان يخشى يعقوب عليه السلام أن يقع، ولا راد لقضاء الله وقدره، فدبر إخوة يوسف ليقتلوه أو يبعدوه عن أبيه.

لكن قدر الله نافذ فلا بد من أن يتحقق كما أراده الله تعالى، وفق تسلسل محكم ولطف خفي لا يدركه يعقوب عليه السلام، ولا يوسف عليه السلام أيضًا، ولا حتى إخوته، لكن ما خططوا له من قتل يوسف يتعارض مع ما قدره الله ليوسف عليه السلام وما سيكون من أمره بعد ذلك، ولا يقوى أحد أن يعارض ما دبره الله وقضاه.

فيقول أحد الإخوة لا تقتلوا يوسف وألقوه في البئر بدلًا من قتله، وطلبوا من أبيهم أن يرسل أخاهم معهم للرعي يلهو ويلعب، ويخشى يعقوب عليه السلام من الاستجابة لطلبهم لما يظنه من كيدهم له، ويُظهر لهم أنه يحزنه فراق يوسف ولو لبعض الوقت، وأنه يخشى أن يأكله الذئب وهم عنه منشغلون.

فكان إلقاؤهم ليوسف في البئر لا يتعدى إلا أن يكون تنفيذًا لقدر الله تعالى وما قضاه، ولما عاد إخوة يوسف لأبيهم ليلًا وقد تركوه وحيدًا في ظلمة البئر، وعرضوا على أبيهم ثوب يوسف ممزقًا وعليه دماء، وتأسفوا لأبيهم من أن الذئب قد باغتهم على أخيهم الصغير فأكله، ومع ذلك كله فقد كان يعقوب عليه السلام موقنًا بأن لله تدبيرًا لا يعلم تسلسل أحداثه، ولا كيف ستكون عاقبته ليصبح ليوسف عليه السلام شأن عظيم بعد ذلك كله.

ويأتي الفرج من الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام في كربه في البئر، فتمر قافلة مسافرة إلى مصر على البئر التي أُلقي فيها يوسف عليه السلام، ويدلي أحدهم دلوه يطلب الماء، لكنه يجد غلامًا متعلقًا بالدلو.

فينتهي الأمر بيوسف في بيت عزيز مصر، ذلك العزيز الذي يوصي زوجته أن تكرم هذا الغلام وتحسن معاملته أملًا في أنه سيخدمهم أو يتخذونه ولدًا.

لكن كان هناك كرب آخر أكبر ينتظر يوسف عليه السلام في بيت العزيز، حيث إن امرأة العزيز وقعت في حبه وأرادته لنفسها، وهيأت جميع الأسباب لتتمكن منه.

وفي الحقيقة كانت الظروف المحيطة بيوسف عليه السلام والدوافع للاستجابة لهذه المرأة أشد من أي واقع يقابله شاب منا الآن، فلقد توفرت له كل دوافع الفاحشة ومسبباتها:

- فكان يوسف عليه السلام شابًا يافعًا فالقوة والشهوة متوفرة لديه؛ وهو يحتاج لتصريف شهوته وهو أعزب، ولا مصرف له حلال.
- وقد سعت المرأة له ولم يسع إليها فلا لوم عليه ولا تثريب..
- والمرأة جميلة؛ فهي زوجة العزيز ومثله لا يتزوج إلا بأجمل النساء.
- ولما أغلقت الأبواب عليهما كان في مأمن، فلا خوف من أن يراهما أحد أو يفتضح أمره.
- ثم هو غريب في بلد لا يعرفه أحد؛ فلا خوف على سمعته حتى لو أفتُضحَ أمره
- وهو كان خادمًا وهي سيدته، فهو تحت تصرفها وقهرها، فيخاف إن لم يجبها أن تعاقبه ويطوله أذاها.

وهنا يكون الموقف الحاسم الصارم من يوسف عليه السلام برفض كل إغراءاتها، على الرغم من شدة الإغراء وكثرة الدوافع ..

فمن لطف الله تعالى به أنه تمكن من الهروب من كيدها، وحين تلحق به وتمسك بثوبه من خلفه وهو يهرب منها يفتح زوجها العزيز الباب، فأنقذه هذه المرة وجود سيده لدى الباب، وهنا ينقلب مكر المفتونة بيوسف إلى متظاهرة بأنه هو الجاني والساعي لفعل الفاحشة بها، وحين يتحقق العزيز من حقيقة الحال لا يزيد على أن يأمر يوسف بأن يُعرض عما حصل معه، وأما زوجته فيكفيها أن تستغفر من ذنبها، فكانت ردة فعل سيده مخيبة للآمال.

لكن ما حصل من امرأة العزيز قد انتشر بين النساء في المدينة وأصبح حديث المجالس، فينتهي الأمر بسجن يوسف وهو البريء، ليوقفوا هذه الشائعات المنتشرة.

ويكون السجن على ما في ظاهره من كرب آخر ليوسف عليه السلام هو لطف من الله به بدلًا من استمرار هذه المرأة في محاولاتها ليقع في الفاحشة ويكون كذلك السجن نفسه سببًا وبداية لما سيكون ليوسف عليه السلام من التمكين والسلطان في مصر بعد تفسيره لما رآه ملك البلاد.

ثم تتوالى الأحداث بعد ذلك ليصبح يوسف ذا منصب كبير في مصر، ويقدر الله سنين متتالية تكون جفافًا وعجافًا ليأتي إليه إخوته يطلبون لأهلهم المدد والعون، حتى ينتهي المطاف بقدوم والده وأهله إلى مصر. بعد أن لطف الله كذلك بنبيه يعقوب عليه السلام ورد عليه ولديه يوسف وبنيامين بعد غياب.

وليس المقصود هنا سرد أحداث معلومة وإنما بيان ما دلت عليه تلك الأحداث من حقائق إيمانية عظيمة لمن تدبرها وفهم الحكمة منها.

ففرق بين النظر إلى تسلسل هذه الأحداث على ظاهرها من أنها سوف تؤول إلى نهاية مؤلمة، وبين النظر إلى لطف تدبير الله حتى في ظل تسلسل فيه من البلاء والمعاناة ما فيه، لكن انتهت هذه المشاهد إلى نجاة ونصر وتمكين، وكيف أن كل حدث مرتبط بالذي بعده في لطف خفي من الله اللطيف الخبير.

- فالذي وجد يوسف في البئر وباعه في مصر إنما نفذ قدر الله تعالى في وصول يوسف إلى بيت العزيز.

- وامرأة العزيز حين فعلت ما فعلت مع يوسف إنما نفذت قدر الله تعالى لتشهد أخيرًا بنفسها على صدق يوسف ونزاهته.

- وسؤال صاحبيه له في السجن عن رؤياهما، ثم ما كان من رؤيا الملك إنما كان أيضا من لطف الله الخفي ليظهر ما اختص الله به يوسف من تأويل الأحاديث.

-والسنين العجاف التي كانت سببًا لقدوم إخوة يوسف إلى مصر، ثم انتقال يعقوب وبنيه كلهم إلى مصر، من لطف الله الخفي أيضا، وكان تمهيدًا لما سيكون لبني إسرائيل من أحداث عظيمة بعد ذلك في مصر، حتى يبعث الله موسى عليه السلام ويكون لهم من الخروج من أرضها وهلاك فرعون وجنوده وما كان.

أي أن هذه الأشياء التي حصلت لطفٌ لطفه الله له فاعترف عليه السلام بهذه النعمة.

- فكان إلقاؤه في البئر خيرًا له من أن يقتله إخوته بعد ما كادوا له كيدًا.
- وأن يُباع كما يُباع العبيد بثمن وسعر زهيد خيرٌ له من أن يظل ملقى في البئر حتى يموت جوعًا أو تأكله الذئاب والسباع.
- ثم كونه دخل السجن مظلومًا فهذا أفضل له من أن يظل خارجه تراوده النساء ويكدن له ليقع في الفحشاء ويفعل ما يغضب الإله.

فلو نظرت أخي القارئ لهذه الابتلاءات الثلاثة دون تمعن للطف اللّٰه، ربما ظننت أنها ابتلاء محضًا لا خير فيه، أما مع التمعن في هذه الابتلاءات فإنك تلحظ لطف اللّٰه بنبيه وأنه اختار له أقل الشرين ضررًا به في كل مرة

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ١٠٠ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

إنَّ ربي لطيفٌ لما يشاء

قال تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام:

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾

فبُعده عن أبيه.. لطف

ورميه في البئر.. لطف

وشِراؤه بثمن بخس.. لطف

وفتنة امرأة العزيز.. لطف

وسِجنه.. لطف

ليكون ملكًا على مصر في النهاية

فلولا هذه المصائب التي مرت به

لما نال هذا التمكين العظيم

فإذا أراد الله أن يرسل لك الخير

حمله إليك ولو على ظهر البلاء

أفتضيق صدورنا للبلاء بعد هذا؟!

لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم

ورد قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾ مرتين في أحداث قصة يوسف في كتاب الله ...

(الموضع الأول)

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: ٢١].

(الموضع الثاني)

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٦].

-**فالمتأمل في الموضع الأول:** يجد أن الله ذكر ذلك التمكين ليوسف عقب قدومه لبيت عزيز مصر، بعد أن اشتراه بثمن بخس ليكون خادمًا ...

فأي تكمين يكون في ظل الرق والعبودية؟!!

فالله يبين لنا أن هذه المرحلة ما هي إلا خطوة في حياة نبيه يوسف عليه السلام في رحلته للتمكين.

فالله تعالى يسر له أن يشتريه عزيز مصر، ويكرمه هذا الإكرام، ليجعل هذا مقدمة لتمكينه في الأرض، من هذا الطريق.

﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ﴾

إذا بقي لا شغل ولا هم له سوى العلم، فكان ذلك من أسباب تعلمه علمًا كثيراً من تعبير الرؤى والأحلام

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾

فأمره تعالى نافذ، لا يبطله مبطل، ولا يغلبه مغالب

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧ ﴾.

-**<u>وفي الموضع الثاني</u>** نجد أن الله ذكر ذلك التمكين ليوسف بعد أن جعله الملك على خزائن الأرض، فكان التمكين هنا في مشهد عزة ونصر، بعد أن ساق الله يوسف لهذا المنصب عبر محطات مختلفة حتى كانت النهاية السعيدة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾

في عيش ورغد، ونعمة واسعة، وجاه عريض

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾ وليست مقصورة على نعمة الدنيا وحسب، فله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ لمن جمع بين التقوى

فبعد أن مرت بيوسف عليه السلام أطوار ومحن عظام ليكون له بعد ذلك من الشأن والسلطان العظيم ما كان بإذن الله تعالى ليكون الدرس: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال الشافعي رحمه الله: (لا يُمكَّن الرجل حتى يبتلى). ذكره ابن القيم في الفوائد.

فالابتلاء هو الاختبار الحقيقي لصدق الإيمان واليقين، وهو محك الصبر والثبات، وهل دخول الجنات والفوز بالدرجات والتمتع بأعلى اللذات ... إلا بالصبر على الابتلاء والمكروهات

ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة ...

واللَّهُ غَالبٌ عَلَى أمرِه

إذا أراد الله شيئا فإنه يُقيض له أسبابًا وأمورًا لا يهتدي إليها العباد، فالله تعالى عزيز غالب على أمره، لا يُمانَع ولا يُغالَب؛ إذا أراد شيئًا فلا يُرد؛ لأن الأمر كله له، فالخلق خلقه والملك ملكه، سبحانه وبحمده:

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن، فعال لما يريد.

فلا تفكر بمقدار ضعفك وعجزك، لكن فكر في قدرة الله الذي لا يُعجزه شيء، فالله أكبر من أوجاعك وأعلم بحالك منك، وأرحم بك من أمك، وأحن عليك من نفسك، ما خلقك الله لينساك أو يخذلك أو يضيعك، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف: ٢١]، فلا يضيق صدرك ولا تيأس، فإن في قضاء الله حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو، فأدِّ ما عليك ولا عليك

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٨].

علمتنا سورة يوسف

أن لطف الله بنا فوق تخطيط البشر

فلقد أرادوا قتل يوسف.. فلم يمت

وباعوه وسجنوه.. فصارا ملكًا

فاطمئن فإن الله غالبٌ على أمره

لطف الله بيونس عليه السلام

جاء ذكر الله لنبيه يونس عليه السلام في سورتي النساءِ والأنعامِ مع جملة من رسله عليهم السلام، وذكر قصته مفصلة في غيرها من السور، وأفرد في القرآن الكريم سورة باسمه. فهو "ذا النون" وصاحب الحوت، فلقد أرسل الله تبارك وتعالى نبيه يونس عليه السلام إلى أهل نينوى بمدينة العراق، فقام بدعوة قومه لعبادة الله وحده لا شريك له، فرفض قومه أن يتبعوه وأن يمتثلوا إلى أوامر الله، فضاق بهم يونس ذرعًا، وأخبرهم أن عذاب الله سوف يأتيهم خلال ثلاثة أيام، وعندما جاء اليوم الثالث خرج يونس عليه السلام من بلدة قومه، وكان ذلك قبل أن يأذن الله له بالخروج، وما إن ابتعد يونس عن بلدة قومه حتى بدأت بشائر العذاب تقترب منهم، مما أصابهم بخوف شديد، وتيقنوا في ذلك الوقت أن ما جاء به يونس هو الحق من عند الله، وأن العذاب سوف يقع عليهم كما وقع على من قبلهم من الأمم.

فخرجوا إلى رؤوس الجبال، وتوجهوا إلى الله بالدعاء، وما كان من الله الرحيم إلا أن تقبل منهم توبتهم، ورفع عنهم العذاب، فرجعوا إلى منازلهم آمنين، وتمنوا لو يعود إليهم يونس؛ ليعيش بينهم ويعلمهم مما آتاه الله.

على الجانب الآخر فبعد أن ترك يونس قومه مضى في سبيله، فوجد سفينة فركبها، وفي وسط البحر، هاجت الرياح وارتفعت الأمواج وأخذت ترتطم وتحيط بالسفينة، وأصاب الزعر كل من فيها، فقال بعضهم، يجب أن نخفف من حمولة السفينة، فألقوا بكل شيء وما زال الأمر خطيرًا، فقرروا أن يقترعوا بينهم؛ ليلقوا في البحر من وقعت عليه القرعة.

فكانت القرعة على يونس عليه السلام، غير أن نفوسهم لم تطاوعهم على فعل ذلك؛ فقد وجدوه شخصًا كريم الأخلاق، فعاودوا القرعة ثانية، فوقعت عليه أيضًا، فأعادوا القرعة ثالثة، فخرجت عليه أيضًا، فعلم يونس أن وراء ذلك تدبيرًا من الله، وأدرك خطيئته بسبب تركه لقومه دون أن يستخير الله بالرحيل أو قبل أن يأذن له بالخروج. فألقى بنفسه في البحر، وسلم نفسه للأمواج، فأوحى الله إلى الحوت أن يبتلعه، وأن يحفظه في بطنه، دون أن يأكله أو يمسه بسوء، وظل يونس في بطن الحوت، والحوت يشق الأمواج، ويهوي في الأعماق، ويتنقل في ظلمات بعضها فوق بعض، فضاق صدره، والتجأ إلى الله بدعائه المعروف:

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وهنا استجاب الله ليونس عليه السلام، فأوحى إلى الحوت أن يلقيه على شاطئ البحر، وكان من لطف الله عز وجل وتمام نعمته على يونس عليه السلام بعد أن قذفه الحوت في العراء، وهو في حالة من الضعف، أن أنبت عليه شجرة اليقطين وهو نبات القرع، يأكل من ثمارها، ويستظل بأوراقها، حتى عادت إليه عافيته، ثم أوحى الله إلى يونس أن يعود إلى قومه بعد أن أخبره بإيمانهم، وأنهم ينتظرون عودته؛ ليعيش بينهم ويدعوهم إلى الله ويعلمهم مما علمه.

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

فيأتي الأمر من الله: لا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء بالقهر من قومه طالبًا تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة مِن ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لألقي من بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، ولم يتداركه فقط بنعمته بل اجتباه وجعله من الصالحين...

فاللهم لطفًا كهذا بنا فلم تزل أنت اللطيف سبحانك.

قال النَّبِيُّ ﷺ:

دَعْوَةُ أَخِي ذِي النُّونِ

لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلا فَرَّجَ اللّٰهُ عَنْهُ

الحديث أخرجه الترمذي

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

رغم كل ما يمر بك من ضيق وشدة، فإن خلف كل ذلك من سعة رعاية الله لك وحفظه ولطفه بك، يسددك، تتعثر مرات فتنهض، ويجبر كسرك، ويزيل عثرتك.. فلطفه يجري وعبدهُ لا يدري!

قد تُظلم الدنيا في وجهك ممَّا تُلاقيه من الشدائد والبلاء، ومن البشر، وأحاطت بك الهموم، وتعسر بك كل أمر يسير.

وقد تشعر بيأس وألم في قلبك مما تُعانيه من تتابع الغلاء عليك!

لكن اللطيف يُنجّيك من ذلك:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ [الأنعام: ٦٤]

تذكَّرها كلما انقطعت بك السبل، وكلما اتسعت دائرة الصِّعاب عليك، تذكر أن لطف الله بك يغلِب كل شيء.

فكن معه يكن معك، وعليك بالدعاء والتوبة والاستغفار وطول المناجاة وحسن الظن به ﷻ، ولعلّ ما بينك وبين الفرج والاطمئنان إلا عدّة تسبيحات، فلعلها ظُلماتُ يونس، وما عليك إلا التّسبيح!!

وَاصْبِر عَلَى مَا أَصَابَك

في ظل مشكلات هذه الحياة وهمومها ،

والالتزامات العديد لكل منا

إلى كل مبتلى في هذه الدنيا!

أو مهموم أو في ضائقة..

اصبر على ما أصابك

فانظر عندما زفت الملائكة البشارة لنبي الله أيوب عليه السلام قالت:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ [ص: ٤٤].

ثم انظر إلى حالك لو نزل بك هم وبلاء

كيف يجدك الله؟؟؟

هل يجدك كـ أيّوب عليه السلام؟!

بعد سنين ابتلآء، وعمر من الشقآء، ومرض وفقد وعنآء

وجده الله صابرًا!

فأرضاه، وأغناه، وكفاه

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سمعت نبيكم ﷺ يقول: (من جعل الهموم همًّا واحدًا ، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك) رواه ابن ماجه وهو صحيح.

لأجل هذا كن مؤدبًا في حزنك..

أنيقًا في ألمك..

حامدًا في دمعتك

صابرًا صبرًا جميلًا

تحسن الظن بربك

فلا يضيق صدرك ولا تيأس

فأنت في معية اللطيف الخبير

والحزن سيمكث معك قليلًا ثم يذهب

حاملًا معه تفاصيل صبرك!

فكن كما أمرك.. صابرًا محتسبًا.

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر: ١٠].

إنّ الأمــور إذَا التَوت وتعقدت

نزلَ القضَاءُ مِنَ اللطيف... وحلّها

فاصبِر لها ، فلعلّها... ولعلّها

ولعلّ مَن خلقَ السماء يحلُّها

فَستتجلي، بل لا أقولُ لعلها

سَيَحلُّها من كان يملك عقدها

لطف الله بنبيه موسى عليه السلام

جاء في قصة موسى عليه السلام عبر أحداثها المختلفة ووقائعها المتعددة جملة من الدروس والعبر والعظات، من ذلك لطف الله بنبيِّه موسى عليه السلام حين ألقته أمُّه في البحر، فلم يغرق بلطف الله به، ووصل إلى قصر فرعون، وقذف الله في قلب زوجة فرعون الرحمة لهذا الطفل، وطلبت من فرعون أن يبقيه، فنجا موسى عليه السلام من القتل.

فلما شاء اللطيف أن يعيد موسى عليه السلام إلى أمّه؛ لأنه وعدها ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ [القصص: ٧]، جعل أقداره تتوالى الواحد تلو الآخر، وأشياء تبنى على أشياء، ومقدمات ونتائج.

لكن كيف سيتم ذلك الآن؟؟ وقد أصبح الغلام في قصر فرعون؟ فما الذي يعيده إلى أمه التي تسكن في منازل الفقراء والمستضعفين من بني إسرائيل؟

قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص: ١٢].

بهذا الأمر الخفيّ اللطيف امتنع ذلك الرضيع أن يرضع من كل المرضعات، إلى أن عاد إلى ثدي أمه ليرضع منه، بعد أن صار فؤادها فارغًا.

فردَّ الله موسى إلى أمه لترضعه في أمن وسلامٍ بعد أن كانت ترضعه في خوف وقلق، وتأخذ الأجر والهدايا من الملك على ذلك وهذا هو وعد الله الحق لها قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: ١٣].

ثم تربَّى في قصر فرعون، حتى بعثه الله نبيًّا، بشيرًا ونذيرًا إلى فرعون، فعتا فرعون وتكبر واستكبر، وجحد بآيات الله ظلمًا وعدوانًا، ظن أنه بسلطته وجنوده وبطشه سيغلب قوة الله تعالى.

فهذا فرعون استدرجه الله جل في علاه إلى هلكته، والله جل في علاه لطيف خبير يستدرج من يشاء من حيث لا يعلم، فالله جل وعلا يكيد بالكائدين ويمكر بالماكرين، قال فرعون: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٤] حتى لحق بموسى ومن آمن معه، فأمامهم البحر وخلفهم فرعون العدو وجنوده.

ومع أن البحر مظنة الهلكة؛ فالغرق والموت داخله، وفرعون خلفهم، لكن انظروا إلى لطف الله فهو الخبير بموسى ومن معه. قال تعالى حاكيًا حال أصحاب موسى:

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١]

فنزل الوحي على موسى عليه السلام

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ ﴾ [الشعراء: ٦٣]

فلما رأى فرعون وجنوده أنهم قد سلكوا البحر اقتحموه وراءهم مسرعين، فأغرق الله فرعون وجنوده في اليمّ، وجعل نصره وثوابه في النهاية للأخيار من عباده، وعقابه للأشرار والفجار.

فانظر إلى ألطاف الله جلّ في علاه كيف جعل النجاة في محل الغرق، وحقق النصر وقت توقع الهزيمة، سبحانه إنه هو اللطيف الخبير.

فمن استقوى بالله لن يضعف، ومن جعله ملاذه لن يضيع.

ولنا في نبي الله موسى عليه السلام أروع المثل في استشعار معية الله وعنايته ولطفه، وهو أنك تتعلق بفرج الله حتى ولو كانت المعطيات كلها ضدك، فعندما حاصرهم فرعون فالعدو كان من خلفهم والبحر من أمامهم.

ورغم ذلك كان يقينه بالله في تلك اللحظة أنه سيهديه وينجيه، فنجاه الله من هذا الكرب العظيم.

إِنَّ معيَ رَبِّي سَيَهدين

فَـمَنْ آوَى إِلَى اللَّهِ آوَاهُ، وَمَنْ فَـوّضَ أَمْرَهُ لِلهِ كَفَـاهُ

هذه آثار حسن الظن بالله، وصدق التوكل عليه!

فيقينك بأنّ الله معك هو درعك الخالد

وقوتك التي تجعلك تخوض الحياة بكل شموخ

إذا تخلّى عنك الأقربون آنست قربه،

وإذا أطبقت عليك الكروب انتظرت مدده،

وإذا ألهتك الذنوب وسعتك رحمته

أقرب حفيظ.. وأقوى نصير.. فهو الملاذ ونعم الوكيل.

فاللهم قلوبنا معلقة بك واجعلنا بقدرتك وكرمك ممن حَسُن ظنه بك.

لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ

دع الحياة تريك بعض ضعفك لتريها أنت كل قوتك

فنحن لم نولد أقوياء؛ بل تقوينا الحياة، وتقوينا الضربات والخيبات ونوبات الفشل

تستمر الحياة ... إن تقبلنا وتأقلمنا ، إن تعلمنا وواجهنا

تستمرُ الحياة ... بدروسِها وإن قست بظروفها

فاليأس لا يُحرك ساكنًا

والظروف لا تُجامل إنسانًا

فقط عليك أن تقاوم ما تكره

حتى تصل إلى ما تريد

فيا ربي إنْ أعطيتَني ما أطلبُ فبرحمتِك

وإن منعتني فبحكمتك..

وأنا على بابك لا أبرحُ حتى أبلغ

موسى مع الخضر

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ألطاف ربانية أجراها الله تعالى على يد الخضر خُفيت على موسى عليه السلام كليم الرحمن سبحانه، وقد قال الخضر لموسى عليه السلام: إنك لن تستطيع معي صبرًا يا موسى، إني على علم من علم الله علمني إياه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمك الله إياه لا أعلمه. وفوق كل ذي علم عليم

قال له موسى عليه السلام: ستجدني إن شاء الله صابرًا، ولا أعصي لك أمرا.

- فاعترض موسى عليه السلام على خرق السفينة لتظهر المصلحة بعد ذلك في خرقها؛ حفاظًا عليها من أخذ الملك المغتصب لها.
- واعترض على قتل الغلام ليظهر بعد ذلك أن موته كان خيرًا لوالديه من بقائه.
- واعترض على بناء الجدار في القرية التي لم يُكرمهما أهلها؛ ليبين بعد ذلك أن الجدار يخفي كنزًا لغلامين يتيمين كان أبوهما صالحًا.

ولذا أوضح الخضر لهذه التصرفات الصحيحة التي تبدو في الظاهر خاطئة بأنها ألطاف من الله تعالى فقال

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ﴾ [الكهف: ٨٢]

فالقاعدة الكبيرة المستفادة من قصة موسى مع الخضر هي أنه ربما يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير؛ فقتل الغلام شر، ولكن بقاؤه حتى يفتن أبويه عن دينهما أعظم شرا منه.

علمتنا سورة الكهف

أن خرق السفينة كان.. قمة المعروف،

فلو لم تُخرَق السفينة لسُلبت..

وقتل الغُلام كان.. قمة الرحمة،

فلو لم يُقتَل الغُلام لأرهق والديه..

ودفن كنز اليتيمين كان.. قمة العطاء،

فلو لم يُبنَ الجدار لضاع حقُ اليتيمين..

فاللهم صبرًا على ما لم نُحِط بهِ خُبرًا.

لطف الله في قضائه وقدره

قال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا يقضي اللهُ لمؤمنٍ قضاءً إلا كان خيرًا له) رواه أحمد وصحَّحه الألباني، ولفظه عند مسلم: (عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمْره كله له خير).

فمن لطف الله أنه يقدّر على عباده أنواعَ المصائب والبلاء، وكذلك بالأمر والنهي الشاق عليهم؛ رحمةً بهم وسَوقًا إلى ما كتبه لهم لينفعهم أو يدفع عنهم ما لم يريده لهم.

كما جاء في حديث النبي ﷺ: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف). رواه الترمذي.

وكم ساق اللطيف من خيرات على بساط الابتلاءات، كما قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

هنا تتجلى حكمة الله ﷻ والتي ربما لن نفهم بعضها حتى يوم القيامة، فالشر نسبي ومفهومنا كبشرٍ عن الشر قاصر.. لأننا لا نرى الصور الكاملة..

فالقدر أنواع ثلاث:

١-النوع الأول

شرٌّ تراه فتحسبه شرًّا فيكشفه الله لك أنه كان خيرًا.

ظاهره شر ولكن بعد فترة من الزمن يتبين لنا لطف الله في هذا القدر

- فما بدا ظاهره شرًّا لأصحاب القارب في قصة موسى مع الخضر اتضح لهم أنه خير لهم بعد ذلك.

وهذا ما نراه كثيرًا في حياتنا اليومية وعندنا جميعًا عشرات الأمثلة عليه، فمثلا نرى إنسانًا يريد أن يسافر لطلب الرزق ويتعب من أجل الحصول على عقد وفي إتمام الإجراءات في الوقت المحدد ونراه يسارع في تجهيز أوراقه ومتاعه وحجز تذكرة السفر ولكن في الوقت المحدد للذهاب إلى المطار يتأخر لظروف معينة إما لزحام في الطريق أو لفقدانه لجوازه أو لغير ذلك.

وعندما يصل إلى المطار يتفاجأ بإقلاع الطائرة فيصيبه الحزن لفواتها ولكن بعد فترة يسمع بخبر تحطم الطائرة التي كان من المفترض أن يسافر على متنها فيعرف هنا لطف الله به وأن ما كان في ظاهره شر هو في الحقيقة خير له، فقد قال عز وجل: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١]

ففوات الفرص أخي القارئ، وضياع الصفقات، والسعي لوظيفة ما، أو لسفر، أو لزواج من شخص تتمنى الارتباط به، كل هذه الأمور كان عدم حصول البعض منا عليها سببًا في حزنه وغضبه وحسرته ...

لكن بعد تحقق وحدوث أمورٍ أخرى ترى بنفسك أنه كان لطفًا من الله بك أن صرف عنك أمورًا أخرى كنت تسعى إليها سعيًا حثيثًا، فأخرج لك المنح من رحم المحن.

رُبَّ خيرٍ لم تَنله ... كان شرًّا لو أتاكَ

وأنت كم من مرة استشطت غضبًا لسرقة محفظتك أو ربما نسيانك لأحد أغراضك أو تعديلك لخطط يومك بسبب أمر طارئ في صورة عطل، رسوب، إخفاق، مرض، فشل، خسارة، فيتحول مسار يومك لتكتشف أن هذا الحادث أو العارض كان السبب الوحيد لنجاة، لنجاح، لعوض.

قد لا ترى **ألطاف** الله وراء كل ابتلاء يحدث لك، ولكن ما يجب أن توقن به أن الله معك ولطفه يجري من حولك ورحمته تغمرك، فالله اللطيف يراك، ولطفه يبلغك، وأنه معك حتى في أكثر الأيام ظلامًا، وأضيق الأحوال، فترى حبه لك، في كل وقت وحين.

٢- النوع الثاني

أمور تحدث للبعض منا فنحسبها شرًّا لكنها في باطنها الرحمة والخير لنا وإن لم نفهم ونستوعب ذلك على حقيقتها.

- مثلما قتل موسى عليه السلام الغلام، فالحدث تراه شرًّا للوهلة الأولى فتحسبه شرًّا.

وفي الحقيقة نتيجته خير لكن لم يكشفه الله لأهل الغلام طوال حياتهم.. فيعيشوا عمرهم وفي اعتقادهم أنه شر وربما يظل ذكرى حزينة في حياتهم.

فهل عرفت أم الغلام حقيقة ما حدث؟

هل أخبرها الخضر؟

الجواب لا..

بالتأكيد قلبها قد كُسر وأمضت الليالي الطويلة حزنًا على هذا الغلام الذي ربته أعوامًا في حجرها ليأتي رجل غريب يقتله ويمضي..

وبالتأكيد.. هي لم تستطع أبدًا أن تعرف أن الطفل الثاني كان تعويضًا عن الأول.. وأن الأول كان سيكون سيئًا

﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ ﴾ [الكهف: ٨٠].

فهنا نحن أمام شر حدث للأم.. ولم تستطع تفسيره أبدًا..

ولم تفهم أم الغلام أبدًا حقيقة ما حدث إلى يوم القيامة.

ونحن الذين نمر على المشهد مرور الكرام لأننا نعرف فقط لماذا فعل الخضر ذلك؟

أما هي فلم ولن تعرف..

ولهذا من لطف الله تعالى بعبده:

أنه أحيانًا تتطلع أنفسنا للدنيا وما فيها من متاع ومال الذي نسعى له ونحسب أنه سينفعنا وسيجلب لنا الراحة والسعادة، واللهُ ﷻ يعلمُ أنه قد يضرّنا فَيَحُولُ بينه وبين أن نصل له في الدنيا، فيظلّ الواحد منا كارهًا لهذه الأحداث والأقدار التي أحالته عن ما يتمناه ويسعى له، ولا يدري أنّ اللّهَ لطف به؛ حيث صرف عنه الشر الضار، وأوصل له الخير النافع، وهذا هو المعنى المراد من لطف الله الخفي.

لذلك كان الإيمان بالقضاء والقدر في هذه الأمور من أعلى المنازل في الإيمان.

وأيضًا أيها القارئ الكريم من لطف الله بنا:

أنه ربما يُبتليَ البعض منا بالمصائب، فيكون من توفيق الله لمن أصابه ما يكره القيام بوظيفة الصبر، فينال بهذا التوفيق الدرجاتِ العالية على صبره، تلك الدرجات والمنازل عند الله ربما التي لا يدركها أحدنا بعمله، لكن تُنال بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره، ولهذا من لطف الله أن جعل في القلوب احتساب الأجر على الصبر فيتمالك الواحد زمام أمره عند البلاء فتهون المصائب وتُعوض بالجزاء والرفعة في الدرجات، فالحمد لله اللطيف الخبير.

٣- النوع الثالث

هو الشر الذي يصرفه الله عنك دون أن تدري لطف الله الخفي.. والخير الذي يسوقه لك الله ولم تره، ولن تراه، ولن تعلمه..

- فهل اليتامى في قصة موسى مع الخضر أبناء الرجل الصالح عرفوا أن الجدار كان سيُهدم؟ لا.

هل عرفوا أن الله أرسل لهم من يبنيه لهم؟ لا.

هل شاهدوا لطف الله الخفي؟ الجواب قطعًا لا.

هل فهم موسى السر من بناء الجدار وقتها؟ لا.

فلنعد معًا إلى كلمة الخضر الأولى: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾

فمهلًا أيها الإنسان!!

فإنك لن تستطيع أن تفهم أقدار الله ولطف الله بك في كل مرة.

الصورة أكبر من عقلك.

استعن بلطف الله الخفي لتصبر على أقداره التي لا تفهمها...

فالله اللطيف سبحانه.. بأيسر الأمور يقدّر أعظم المقادير..

فاللطيف يُتم ما أراده على ما شاء، وعبده غير مدرك بأن شيئًا ما يحدث، فلطفه يجري وأنت لا تدري!!

وينسب إلى عليّ بن أبي طالب هذه الأبيات:

وكـم للّه من لطـــفٍ خفـيّ
يَدقّ خَفَـاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ
فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ
وكـــم أمرٍ تسـاءُ به صباحًا
وَتَأْتِيـــكَ المَسَرَّةُ بالعَشِيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يومًا
فَثِـقْ بالـواحِدِ الفَـرْدِ العَلِيِّ
وَلاَ تَجــزَعْ إذا ما نابَ خَطْبٌ
فكم للّهِ من لُطـــفٍ خفـي

خُلِقَ ٱلإنسَانُ مِن عَجَلٍ

يقول ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى:

﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ﴾ [يونس: ١١].

فالله يخبر عن حلمه ولطفه بعباده، وأنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أولادهم بالشر، في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم، والحالة هذه لطف ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأولادهم بالخير والبركة, فلو استجاب لهم في كل ما دعوه به لأهلكهم.

ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك؛ كما جاء في الحديث الذي رواه جابر قال، قال رسول اللّه ﷺ: (لا تدْعوا على أنفسِكم، ولا تدْعوا على أولادِكم ، ولا تدْعوا على خَدَمِكم، ولا تدْعوا على أموالِكم، لا تُوافقوا من اللّهِ ساعةَ نيْلٍ فيها عطاءٌ فيُستجابَ لكم) أخرجه أبو داود، وهذا كقوله تعالى:

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١ ﴾ [الإسراء: ١١].

فلو أن اللّه ﷻ قد أجابك في جميع الدعاء، فسوف يجيب دعاءك في الشر ودعاءك في الخير على سواء، ولو أن اللّه ﷻ عجَّل لك دعاء الشر، كما تحب أن يُعجَّل لك دعاء الخير، لَقُضِي إليك أجلك وانتهت المسألة.

وإذا كنت تقول: أنا أدعو بالخير، واللّه ﷻ لا يعطيني، فخذ مقابلها: أنك تدعو بالشرّ على نفسك، ولا يجيبك اللّه، ثم ألا يضيق الأب أحيانًا ذَرْعًا بمن حوله، فيقول: فليأخذني اللّه؛ لأستريح من وجوهكم؟

هَبْ أن اللّه سبحانه أجابه إلى هذه الدعوة، فماذا يكون الموقف؟ وقد تجد من يقول: يا رب أصبني بالعمى فلا أراهم، أو تدعو المرأة على نفسها أو على أولادها.

فكما قبلت أن يؤجل اللّه تعالى لك دعاء الشر وأنت لا تدري على نفسك، أو على من تحب؛ فاقبل منه تأجيل دعائك فيما تظنه خيرًا لك؛ لأن الخير فيما تطلب غير الخير فيما يعلم اللّه؛ فهو اللطيف الخبير. وقد تطلب خيرًا تعلمه ولكن اللّه يعلم فيه شرًّا؛ فمن مصلحتك ألا يجيبك.

فكم للّه من لطف خفيّ

فكم لله من تدبير أمر ... طوته عن المُشاهدةِ الغيوبُ

وكم في الغيب من تيسير ... عسرٍ ومن تفريج نائبة تنوبُ

ومن كرم ومن لطف خفيّ ... ومن فرج تزول به الكروبُ

ومن لي غير باب الله بابٌ ... ولا مولى سواه ولا حبيبُ

لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع!!

لو عرضت الأقدار على الإنسان فغالبًا سيختار ما اختاره الله له فلسان حال كل واحد منا يدعو (اللهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير).

وليس المعنى الذي أريد تقريره حول لطف الله في قضائه وقدره تقرير: أن البديل لكل حادث أصاب أحد منا أنه ربما سيكون أكبر ألمًا أو أشد ضررًا؛ فليس كل من أصيب في حادث أثناء سفره، لو ترك السفر: كان سيموت - مثلًا - أو سيصيبه حادث هو أشد مما أصابه.

ولا أقول أيضًا: إنك كنت ستختار هذا الذي أصابك، لأنه أخف الضررين، وأقل الخسارتين!!

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

(أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع،

ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي إليه، ولكني لعدم علمي قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغيب).

ويكتب اللهُ خيرًا أنت تجهلهُ

وظاهرُ الأمرِ حرمانٌ من النعم.

ولو علمت مراد الله من عِوضٍ

لقلتَ حمدًا إلهي واسع الكرمِ..

فسلّم الأمرَ للرحمن وارضَ بهِ

هو البصير بحال العبد من ألم..

وهذا سر بديع يحسن بك أن تتفطن له حال دعائك لربك؛ ذلك أن الله هو أعلم بمصالح عباده منهم، وأرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم.

فإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرًا لهم من ألا ينزل بهم؛ ولو مُكِّنُوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علمًا، وإرادةً، وعملًا. فيكون إحسانًا منه سبحانه إليهم، ولطفًا بهم، بموجب علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته أَحَبُّوا ذلك أم كرهوا.

فإذا سلَّمت أمرك لله، وأيقنت بأن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنه أرحم به من نفسك؛ طاب قلبك، قضيت حاجتك أو لم تُقضَ.

قال ابن القيم في فوائده: (ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطفُ عليه، واللطف فيه، فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يُهَوِّن عليه ما قدر له).

قال ابن القيم في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾:

(قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: منعه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختيارًا وحسن نظر. وهذا كما قال، فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرا له، ساءه ذلك القضاء أو سَرّه، فقضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية).

فإذا فوضت أمرك لربك، ورضيت بما اختاره الله لك، أَمَدّك فيما يختاره لك بالقوة عليه، والعزيمة، والصبر، وصرف عنك العجز والضجر والسخط، ورأيت من حسن عواقب اختياره لك ما لم يكن ليصل إليك إلا عن طريق الابتلاء والشدة أحيانًا.

وهذا يريحك من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبك من التقديرات والتدبيرات والافتراضات التي تبعدك بالفكر، وتشغلك بما فاتك أو أصابك.

ومع هذا فلا خروج لك عما قدره الله عليك، فلو رضيت باختيار الله أصابك القدر وأنت حامد شاكر محاط **بألطاف** الله، وإذا جرى عليك القدر وأنت ساخط لم تزد إلا حزنًا ويأسًا ولم يتغير من القدر إلا ما كتب وحدث.

رُبَّ خيرٍ لم تَنله .. كان شرًّا لو أتاكَ

فاحمد الله المدبر .. أن حماك وكفاك

ألطـــاف من السيرة النبوية

• طفولة النَّبي

كانت طفولة النّبيّ ﷺ زاخرةً بالأحداث منذ ولادته، فقد مات أبوه وأمُّه حامل بهِ آنذاك، فولد ﷺ يتيمًا، فكفله جدُّه عبد المطلب، ثمّ أُرسل إلى ديار بني سعد من أجل الرّضاعة من حليمة السّعدية، ولمَّا انتهت مدّة رضاعته عادت به إلى أمِّه آمنة، وقد توفِّيت عنه وتركته لجدِّه، ثم مات جده بعدها بعامين، عندئذٍ انتقلت حضانة محمّد ﷺ إلى عمِّه أبي طالب الذي أحسن كفالته، وتربى مع أولاده وظل عمه يدافع عنه حتى بعد النبوة رغم أن العم قد مات على الكفر.

ومن هنا نرى كيف أثرت المصائب التي أصابت النبي ﷺ منذ طفولته في قلبه، **وهو جزءٌ من لطف الله الخفي في إعداد هذا النبي الكريم ﷺ**؛ وذلك حتى لا يتأثّر بأخلاق الجاهلية القائمة على معاني الكبر والاستعلاء والغلظة، فكانت تلك الأحزان سببًا في رقّة قلبه واكتسابه لمكارم الأخلاق. حتى صدق فيه وصف خديجة رضي الله عنها: (يحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، ويُقري الضيف، ويُعين على نوائب الحق). أخرجه الشيخان، واللفظ لمسلم.

فطفولة النبي ﷺ منذ صغره لافتة للنظر، فاللطيف سبحانه يقيض من الأحداث ما يسلط به الضوء على النبي ﷺ منذ طفولته كأنّ هذا الغلام سيكون منقذَ البشرية، فالله جعل أنظار الناس تتجه إلى مكة قبل ولادته حيث وقعت حادثة الفيل، وانهزم أبرهة وجيشه، وتسامعت الناس أجمعين في كل الجزيرة بل وخارج الجزيرة بما وقع لأبرهة وجيشه، وحجارة من السماء لا شك أنه شيء مستغرب للغاية وعجيب، فاتجهت أنظار العالم إلى المكان الذي حدثت فيه هذه القارعة، وهو مكة؛ لأن هناك حدثًا آخر سيتم في هذا العام وهو ولادة النبي ﷺ.

ثم بعد ذلك تأتي حليمة لتأخذه، وتأتي هذه الخيرات والبركات، ويصبح أمره ﷺ منتشرًا منذ صغره، قالت حليمة: (فخرجنا فما زال يزيدنا الله في كل يومٍ خيرًا، حتى قدمنا والبلاد سنة يعني: قحط ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون فتروح أغنام بني سعدٍ جياعًا، وتروح غنمي شباعًا بطانًا) دلائل النبوة للبيهقي

وكذلك حادثة شق صدر النبي ﷺ الَّتي حصلت له أثناء وجوده في مضارب بني سعدٍ،تعد من إرهاصات النُّبوَّة، فكل ذلك من تدبير الله ولطفه لنبيه ﷺ ودلائل اختيار الله إيَّاه لأمرٍ جليل.

- **حصار شعب أبي طالب**

لما رأت قريش أمر رسول الله ﷺ يعلو والأمور تتزايد أجمعوا على حبس رسول الله ﷺ ومن معه في شعب أبي طالب واتفقوا على ألا يبايعوهم فلا يناكحوهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، وبقوا محصورين مضيقاً عليهم جدًّا مقطوعًا عنهم الزاد، فلا بيع ولا شراء، حتى الطعام الذي يأتي مكة من خارجها يشتريه الكفار بسعر عال؛ حتى لا يستطيع أحد منهم شراءه، وأصبح الموقف صعبًا؛ حتى كان يسمع أصوات النساء والصبيان يصرخون من الجوع، وحتى اضطروا إلى أكل أوراق الشجر، وظلوا كذلك ثلاث سنين كاملة حتى بلغ بهم الجهد مبلغه...

ولما شاء اللطيف أن يخرج رسولنا ﷺ ومن معه من ويلات شعب بني عامر لم يرسل ريحًا صرصرًا عاتية، أو صيحة تزلزل ظلم قريش؛ فقط أرسل حشرة صغيرة هي **الأَرَضَة (النمل الأبيض) تأكل أطراف وثيقة الظلم وعبارات التحالف الخبيث ..**

فيصبحون وقد تفككت وثيقة الظلم بحشرة لا تكاد تُرى، ليأذن الله بنصر دينه، وإعزاز رسوله، فلطف الله بنبيه ومن آمن معه، وجاء الإذن بالهجرة بعد أن اشتد البلاء على المسلمين ليفر المؤمنون بدينهم من ظلم وقهر كفار قريش.

- **في الغار:**

وفي أثناء هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة انطلق المشركون في آثار رسول الله وصاحبه، يرصدون الطرق، ويفتشون في جبال مكة، حتى وصلوا غار ثور، وأحاط المشركون بالنبي وأبي بكر الصديق، فقال الصديق رضي الله عنه: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ ﷺ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا) رواه البخاري، فيقول ﷺ لصاحبه إذ هما في الغار: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: ٤٠]

فعند ذلك أخذ الله أبصار المشركين فلم يروا الرسول ﷺ وصاحبهُ على الرغم من أنهم وقفوا عليهم في الغار وهذا من لطف الله ﷻ برسول الله ﷺ وصاحبه، فأعمى اللهُ عيونَهم وخطف أبصارهم وطمس على بصائرهم، لأنهم يريدون الباطل، والله يريد أن يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

قال ابن القيم في مدارج السالكين: لم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه؛ قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

فالحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ٣٤].

وقد استعاذ منه الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن)

أخرجه البخاري في صحيحه.

فلا تحزن، فقط عليك أن تصلح ما بينك وبين الله، ثم امضِ مطمئنًا، فهو بك أعلم، فمعية الله تكفيك!!

- **غزوة بدر**

ومن لطفه ﷻ بالمسلمين في غزوة بدر أنه قدرها بلا ميعاد ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال: ٤٢]، فالمسلمون كانوا يريدون عير قريش فأعطاهم الله تعالى رقاب كبرائها ورؤسائها بدل العير بلا حساب من الطائفتين.

وأيضا من لطفه سبحانه أنه ألقى النوم عليهم قبل معاركهم؛ ليجدد نشاطهم، ويذهب خوفهم، ويربط على قلوبهم، مع أن النوم ضعف في السلم فجعله الله بلطفه قوة لهم في الحرب ؟!

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وذكر ابن هشام في سيرته: فصل ما نزل في لطف الله بالرسول في هذه الغزوة، ثم ذكر لطفه به وكيده له، حيث قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٣]، فكان ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم، شجعهم بها على عدوهم، وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم، لعلمه بما فيهم.

• غزوة أحد

في غزوة أحد وحين الهزيمة والانكسار والقتل والجراح اغتم المسلمون غمًا عظيمًا، فتابع الله تعالى عليهم غما أكبر يُنسيهم كل غم سابق، وهو إشاعة مقتل النبي ﷺ، فكشفت هذه الإشاعة ما قبلها من أنواع الغم والقهر وخففت بعض ما في قلوبهم، ولم يلبث هذا الغم إلا يسيرًا من الوقت حتى فرح الصحابة بسلامة النبي ﷺ من القتل.

ثم ألقى عليهم النوم ليزيل أثر الغم وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣-١٥٤]

فيا له من لطف من الله بالمؤمنين لا يأتي إلا من اللطيف الخبير، حين يجعل غمًّا مؤقتًا؛ ليُنسي به غمًّا متعددًا دائمًا كان قبله؛ لتتعافى القلوب المؤمنة من همها وغمها سريعًا، وتدرك لطف الله تعالى بها.

- **صلح الحديبية**

ومن لطف الله تعالى بالمؤمنين في صلح الحديبية أن شروط هذا الصلح كانت فيما يظهر للصحابة أنها مجحفة بحق المؤمنين حتى اغتموا بسبب ذلك واعترضوا، ورأوها دنية في دينهم، ولم يدركوا لطف الله تعالى بهم حين قدر الصلح وهيأ أسبابه.

فأنزل الله تعالى فيه سورة الفتح، فكان ما ظنوه ذلًّا، ظهر لهم أنه عز، وما ظنوه ضعفًا كان قوة، وما ظنوه تقييدًا ودنية صار فتحًا: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾

حتى قَالَ عُمَرُ ﷺ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ ﷺ: نَعَمْ) رواه البخاري.

فكان الفتح بعد الصلح بسنة وعشرة أشهر فقط، بعد أن نقض المشركون العقد، فأوصل الله تعالى المؤمنين بالصلح إلى الفتح في مدة وجيزة، وذلك من لطفه الذي خفي على الصحابة وقتها.

• غزوة بني النضير

وفي غزوة بني النضير نقض اليهود العهد، فغزاهم النبي ﷺ، فتحصنوا بحصونهم، وأغلقوا عليهم أبوابهم، ومَؤونتهم حاضرة عندهم، والمؤمنون في العراء يحاصرونهم، ولا مَؤونة لديهم.

فلطف الله تعالى بالمؤمنين، فلم يطل حصار المسلمين ليهود بني النضير طويلًا، فقد دام ست ليال فقط، وقيل: خمس عشرة ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب ونزل اليهود عن حصونهم مستسلمين، مع أن جانبهم المادي أقوى من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾ [الحشر: ٢].

- **في غزوة تبوك**

استأذن فريق من المنافقين النبيء ﷺ، أن يتخلَّفُوا عن الغزوة، واعتذروا بأعذار كاذبة وأذن النَّبِيء ﷺ لمن استأذنه فعاتب الله نبيه ﷺ في أنه أذن لهم؛ لأنه لو لم يأذن لهم لقعدوا، فيكون ذلك دليلًا للنبي ﷺ على نفاقهم وكذبهم في دعوى صدق الإيمان فقال تعالى:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: ٤٣].

ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره قول عون بن عبد الله رحمه الله قال: (هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ فقد بدأ الله بالعفو قبل المعاتبة فقال: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾).

وهذا من لطف الله تعالى بنبيه محمد ﷺ وتكريمه إياه فأعلمه بعفوه عنه قبل إخباره بخطأ الاجتهاد في الإذن لبعض المنافقين بأن يتخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك.

• زوجات النبي (أمهات المؤمنين)

قال تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وفي الآية خطاب مُوجَّهٌ لأزواج النبي ﷺ، وهُنّ أكرم النساء إلى تَذَكُر نعمة الله الكبرى عليهن وعلى مَنْ وراءهن من المؤمنين والمؤمنات، حيث جعل الله بيوت أهل الإيمان تتلى فيها الآيات وتتردد في جنباتها أنوار الحكمة.

قال القرطبي:

"شَرَّفَ الله تعالى أَزواج نَبِيِّه ﷺ بأن جعلهُنّ أمَّهات المؤمنين"، أي: في وجوب التَّعْظِيمِ، وَالْمَبَرَّة، والإِجْلال.

فلهن الفضل والشرف، وذلك لما منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن.

قال الطبري:

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾ أي: إنّ الله كان ذا لطف بكنَّ؛ إذ جعلكنَّ في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، ﴿ خَبِيرًا ٣٥ ﴾ بكنَّ إذ اختاركنَّ لرسوله أزواجًا.

فمن لطف اللّه على أي زوجة أو زوج أو ولد أن يعيش في بيت يقرأ فيه كتاب اللّه أن يعيشوا في أجواء صالحة، فإن صلاح العبد موقوف على أسباب كثيرة، من أكثرها وأعظمها نفعًا العيش في بيئة صالحة.

واذكر في الكتاب مَرْيَم

كانت مريم بنت عمران من أسرة صالحة معروفة بالصلاح من بني إسرائيل، ولما حملت بها أمها العابدة نذرت لله تعالى أن يكون هذا الجنين خادمًا لبيت المقدس بعد أن يولد ويكبر، على عادتهم في ذلك الزمان، ولكنها فوجئت عند وضعها أنها أنثى وليست ذكرًا يصلح لخدمة بيت المقدس؛ إذ ليست الأنثى كالذكر في ذلك، فسمَّتها بعد ذلك بمريم، ودعت لها بالتحصين هي وذريتها من الشيطان الرجيم.

فاستجاب الله دعاءها، وقَبِل نذرها، وجعلها في كفالة زوج خالتها نبي الله زكريا عليه السلام، الذي قام على تربيتها ورعايتها.

وفي أحد الأيام خرجت مريم عليها السلام فاتخذت لها مكانًا بعيدًا للعبادة في اتجاه المشرق، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام ملك الوحيِ في صورة إنسان.

فلما جاءها في ذلك المكان خافت وفزعت، فاستجارت بالله الرحمن من شر إنسان لا تعرفه، فطمأنها جبريلُ عليه السلام وبيَّن لها أنما هو رسول من عند الله تعالى إليها ليبشرها بمجيء غلام منها يكون بكلمة من الله، ويصير له مكانة وشأن في الدنيا والآخرة.

فتعجبت مريم من حصول ذلك منها من غير نكاح، فذكر لها الملك أن الأمر بقدرة الله تعالى، الذي بكلمته يوجد الشيء من العدم.

وسلَّمت مريم عليها السلام أمرها لله تعالى، فحملت بقدر الله تعالى، فخرجت إلى مكان بعيد؛ لأنها تعلم ما ستلقى من قومها من الافتراء والتهم، واستمرت على حملها حتى حان وقت ولادتها فألجأها الألم ووجع الطلق إلى نخلة استندت عليها عند ولادتها.

وهي على تلك الحال كانت تعاني أنواعًا من الكروب:

-كرب الولادة.

-وكرب قلة الخبرة فيها، لكونها عذراء وليس بجانبها أحد.

-وكربة ماذا ستقول لقومها لما ترجع إليهم بغلام لا أب له.

وهذا الكرب الأخير هو الذي تمنت بسببه الموت، كما تمنت كذلك أن لو كانت شيئًا لا يُعرف أو يهتم به؛ تقول:

﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ ﴾ [مريم: ٢٣].

فقد ذكر بعض أهل العلم أن المعنى: "أنها تمنت الموت على حالة غير هذه الحالة، لما علمته من أن بني إسرائيل قوم بهت، وسوف يؤذونها ويتهمونها بما هي منه براء.

ولكنها لا تعلم أنها صارت بهذا الحمل سيدة نساء العالمين وآية من آيات الله الدالة على قدرته وعظمته، وأن في بطنها نبيًّا من أولي العزم من الرسل، وأنها بفضل هذا الذي حملت به رفعت إلى مصاف الصديقين ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾، فظنتها كُربات، وإنما كانت من الله كرامات".

- فما أقصر المسافة بين: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ ﴾
- وبين: ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾.

هي رحمة الله التي تختصر مسافة الكرب والهم الذي يثقل ويكبر فيكون أكبر من الدنيا وأثقل من الجبل، فتضيق به النفس.

فإذا هذا الهم يتغير ويتبدل بلطف الله بعباده إلى حياة مطمئنة مليئة بالسكينة وقرة العين.

فلو تحقق لمريم عليها السلام أمنياتها ودعاءها لما كانت أمًّا للمسيح ولا آيةً للعالمين، فالخير فيما قضاه الله واختاره.

فأحيانا تمر على الإنسان كُربات كثيرة وأوقات صعبة قد يتمنى فيها الموت ولا يعلم أن هذه اللحظات هي بداية الفرج وظهور الأمل وتفريج كربه وأحزانه وتحقيق أماله وطموحاته، فأحسن الظن بربك، وقل الحمد لله في كل حال وفي كل حين.

يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

فالله وحده.. كان يعلم وجع مريم حين قالت:

﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ ﴾

وما كانَ لذلكَ الحزن أن يكونَ هيّنًا على ربّ الفرج

فأرسل إليها النداء: ألا تحزني

فلا تيأس أنت إن طال بك الكرب والابتلاء

فنهايته حميدة وسعيدة وفرحٌ وتفريجٌ

فاللهم راحة لأوجاعنا وأحزاننا،

واسقنا من بحور الصبر حتى يأتي الفرج.

وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لكم

وهذه قصة شاب في مقتبل العمر، كان مدرسًا تزوج من فتاة أحلامه وكانت تعمل مدرسة أيضًا وأنجبا طفلًا فرحًا به أشد الفرح، ولكن سرعان ما أحسا بالعناء الشديد لصعوبة الجمع بين رعاية الطفل وبين عمل أمه، وكان يمرض أحيانًا فيضطر الأب أو الأم للتخلف عن العمل، أو كانا يتركان الطفل في رعاية بعض الأقارب أو الأصدقاء، وفكر الأب أن تتوقف الأم عن العمل ولكن ظروفهما الاقتصادية كانت سببًا لاستبعاد هذه الفكرة.

فوجئ الزوجان بأعراض الحمل تظهر على الزوجة وجن جنونهما فقد ضاقا بطفل فكيف باثنين، وأسرعا لطبيب ليساعدهما على التخلص من الجنين، ولكنّ الطبيب رفض أن يقوم بإسقاط الحمل، وإزاء إلحاحهما نصحهما أحد من وافقهما في الرأي بأن تقوم الزوجة ببعض الجهد الجسماني ليتم الإجهاض.

وافق الزوجان على مقترح هذا الشخص وراحا يصعدان مرتفعًا ويهبطان وركضا شوطًا بعيدًا ثم اتجها عائدين إلى البيت ينتظران التخلص من الحمل.

وعند وصولهما إلى البيت كانت هناك مصيبة في انتظارهما، فقد وجدا طفلهما قد فارق الحياة إثر سقوطه من فوق سلم كان يصعده في غفلة ممن يرعاه.

هنا كانت مفاجأة مريرة للزوجين، وعندها سارعا للطبيب مرة أخرى الذي طلبا منه التخلص من الحمل، ولكن في هذه المرة يطلبان عونه ليوقف الإجهاض، ومرة أخرى قال الطبيب: لا أستطيع ولا أحد يستطيع عونكما إلا الله تعالى.

أخذ الزوجان يخلصان بالدعاء إلى الله ﷻ أن يرفق بهما، والله سميع عليم، والله غفور رحيم، فاستجاب الله للدعاء فحفظ الجنين الذي أصبح أملًا لهما وكان منذ ساعات شرًا يحاولان التخلص منه.

تلك نماذج واقعية تبين أن للكون مالكًا ﷻ وهو الذي يدبر أمره ويرعاه، كما أنه يجب على المؤمن أن يرضى بقضاء الله وما قسمه له ويتقبله برضا وإيمان، ولعل أمرًا قد كتبه الله لك لا تبتغيه نفسك فيه خير لك، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

وما هذه القصة التي ذكرناها إلا صور واضحة لتدخل الإنسان في أمور ليس له فيها شأن أو أمر، بل الأمر كله لله ﷻ، فلنسلم أمرنا لله ولنرضَ بقضاء الله فهو نعم المولى ونعم النصير.

قال الله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فسبحانك ربي ما أكرمك وألطفك وأعظمك!!

فعلى الرغم مما فعلا ولم يرضيا بما قدره الله لهما.

فقد أبقى لهما الجنين حيًّا.

والحمد لله أنهما فهما بعدها كيف يحافظان على نعم الله عليهما

فإذا رزقت بالولد، ذكرًا كان أم أنثى فالله هو المقدر للخير لك، وهو أعلم بما ينفعك وما يضرك؛ فلا تكره الذكر أو الأنثى؛ بل احمد الله على العطية، وقل الخيرة فيما اختار الله لي، وحتى لو لم ترزق بذرية وكنت عقيمًا فاحمد الله واصبر على ما أصابك...

قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩].

لكنّ كثيرًا ما يستعجل الإنسان في هذه الحياة، وينسى أن لهذا الكون خالقًا مدبّرًا عليمًا حكيمًا، يستعجل الإنسان ويرى في كلّ ضيق وبلاء ينزل به شرًا محضا لا خير فيه، وتسوَدّ الدّنيا في وجهه، وربّما يقوده الشّيطان إلى السخط على قضاء الله وقدره.

ربّما يبتلي الله عبدًا من عباده بالفقر، فيغفل عن حكمة الله في ذلك، ويظنّ أنّ الله حرمه مما فيه مصلحتُه ومما فيه خير دنياه وأخراه

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٦].

فيحزن ويغتمّ ويتنكّد ويظنّ السّوء بربّه الكريم، وهو لا يعلم أنّ الغنى والمال سيفسدان دينه ودنياه، ثمّ لا يزال يلحّ في طلب الدّنيا، فيفتح الله له بابًا من أبواب الرّزق، ويغدق عليه، فينسى ما كان عليه من حال الفقر، وينسى شكر ربّه الكريم، بل ربّما يلهيه ماله عن الله وعن الصّلاة، ولربّما ينفق ماله في معصية الله، ولو بقي فقيرًا صابرًا لكان خيرًا له من ذلك الغنى الذي أطغاه وألهاه.

قال سبحانه:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

وربّما يبتلي الله عبدًا من عباده فيحرمه الذرية والأولاد، فيتضجّر ويتبرّم، ويظنّ السّوء بربّه الكريم، وهو لا يعلم أنّ الله ربّما حرمه إلا لأنّه يعلم أنّ الذرية ستكون سببًا لتعاسته في الدنيا وخسارته في الآخرة.

وربّما يبتلي الله عبدًا من عباده بالمرض، فيتحسّر ويسخط، وهو لا يعلم أنّ الله ابتلاه لأنّه علم أنّ الصحّة ستطغيه وتنسيه الموت وتلهيه، فإذا ألبسه الله ثوب العافية نسي ما كان فيه من بلاء، وسلّط نعمة الصحّة على معصية الله وعلى ظلم عباد الله.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ [الزمر: ٨].

ربّما يبتلي اللّه عبدًا من عباده ويفوّت عليه أمرًا من أمور الدنيا وزينتها، فيحزن ويغفل عن حكمة اللّه في خلقه، وينسى أنّ اللّه ربّما صرف عنه ذلك الأمر لأنّه سيكون سببًا لفساد دينه أو دنياه. ثمّ ما يلبث العبد أن يفتح اللّه عليه أمرًا آخر وييسّر له أسباب الوصول إليه، فيدرك حينها حكمة اللّه في تدبيره.

بل ربّما يدعو عبد من عباد اللّه ربّه بالنّجاح في امتحان من الامتحانات، ويلحّ عليه في الدّعاء، فيبتليه اللّه بالفشل في ذلك الامتحان، فيحزن وربّما يظنّ السّوء بربّه الكريم، وهو لا يعلم أنّ الحكيم الخبير صرف عنه النّجاح لحكمة يعلمها أو لخير يخبّئه له في وقت آخر أو بطريقة أخرى.

ربّما يبتلي اللّه عبدًا من عباده فيؤخّر عنه خيرًا أو يفوّت عنه فرصة من الفرص، فيحزن وييأس وهو لا يعلم أنّ اللّه ربّما ادّخر له بتفويت تلك الفرصة خيرًا عظيمًا أو دفع عنه بتفويتها بلاءً عظيمًا.

لأجل هذا ينبغي لك أخي القارئ أن تكون راضيًا باختيار اللّه، مسلّمًا لقضائه، فربّ منحة في محنة، ومحنة في منحة، وربّ مرغوب في مكروه، ومكروه في مرغوب.

لا يدري أحد منا أين يكون الخير؟

وأين يكون صلاح أمره؟

في الشدّة أم في الرّخاء؟

في العافية أم في البلاء؟

لا ندري أين يكون صلاح دنيانا وآخرتنا؛

هل في الزّواج المبكر أم في تأخيره؟

مع الزّوج الفقير أم مع الزّوج الغنيّ؟

مع الذرية أم مع العقم؟

وأيّ شيء في حياتنا لم يعجبنا ربّما يكون هو أعظم خير في الحياة لنا.

وأيّ شيء في حياتنا أعجبنا ربّما يكون كذلك سبب بلاء في الدّنيا أو في الآخرة.

فعلى كل واحد منا أن يسعى لتحصيل ما يراه خيرًا، والعمل على دفع ما يراه شرًا، وأن يتوكّل على الله، ويقدّم ما أمكنه من الأسباب المشروعة لذلك.

فإن وقع شيءٌ على خلاف ما يحبّ، فليتذكرْ هذه القاعدة القرآنية العظيمة:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولْيُسلّم أمره لله وليرض باختياره، ولْيحسن الظنّ بربّه الكريم، ولْيصبر، وسيرى من ربّه اللطيف الخبير ما ينفعه ويرضيه ولو بعد حين.

اللهم أجرني في مصيبتي

أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي هند بنت أبي أمية

من السابقين الأولين في الدخول إلى الإسلام

هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة

قيل إنها أول امرأة هاجرت إلى المدينة.

لما مات زوجها أبو سلمة رضي الله عنهم جميعًا، تقول أم سلمة في الحديث الذي رواه مسلم: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها. إلا أخلف الله له خيرًا منها). رواه مسلم

قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ فهو أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟

ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول ﷺ فزوجني الله به!

فتأمل هذا الشعور الذي انتاب أم سلمة وهو بلا شك ينتاب بعض النساء اللاتي يبتلين بفقد أزواجهن ويتطلبهن الرجال للزواج ولسان حالهن: ومن خير من زوجي فلان؟!

فلما فعلتْ أم سلمة ما أمرها الشرع به من الصبر والاسترجاع وقول المأثور، أعقبها الله خيرًا لم تكن تحلمُ به، ولا كانت تتوقعه.

وهكذا أنت..

يجب عليك أن لا تختصر سعادتك، أو تحصرها في باب واحد من أبواب الحياة، وحتى لو أصابتك مصيبة لا تحزن وتغتم.

نعم.. الحزن العارض شيء لم يسلم منه أحد، ولا الأنبياء والمرسلين!

بل المراد أن لا نحصر الحياة أو السعادة في شيء واحد، أو شخص، أو فرصة، أو هدف معين أو حلم!

ويأتي دعاء اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها بالخير كله.. فكلما رددت هذا الدعاء عند كل مصيبة أو أي بلية لهو دليل على حسن ظنك بالله واليقين به، وجزاء ذلك الأجر والثواب من الله وكذلك يخلف الله عليك بخير مما فقدت أو خسرت أو بما يأتي العوض إليك عن طريق بث الرضا في قلبك والطمأنينة في نفسك.

فاصبر على المصائب ولا تجزع، حتى تنال الأجر والثواب والعوض من الله ﷻ.

لعل ما تخشــاه ليس بكائنٍ

ولعل ما ترجوه سوف يكونُ

ولعل ما هــونت ليــس بهيــّنٍ

ولعل ما شــدّدت سـوف يهونُ

ما حجبه الله عنا كان أعظم!

خرج رجلٌ في سفرٍ مع ابنه إلى مدينة تبعد عنهما قرابة يومين وكان معهما حمار، وضعا عليه الأمتعة.

وكان الرجل يردد دائما قول: **ما حجبه الله كان أعظم!**

وبينما هما يسيران كسرت ساق الحمار في منتصف الطريق

فقال الرجل: **ما حجبه الله عنا كان أعظم!**

فأخذ كل منهما متاعه على ظهره وتابعا السير

بعد مدة تعثر الرجل بحجر أصاب رجله فأصبح يجر رجله جرًّا

فقال: **ما حجبه الله عنا كان أعظم!**

فقام الابن وحمل متاعه ومتاع أبيه على ظهره.. وانطلقا يكملان مسيرهما، وفي الطريق لدغت الابنَ أفعى فوقع على الأرض وهو يتألم...

فقال الرجل: **ما حجبه الله عنا كان أعظم!**

وهنا غضب الابن وقال لأبيه: أهناك ما هو أعظم مما أصابنا؟؟

وعندما شُفي الابن أكملا سيرهما فوصلا إلى المدينة فإذا بها قد أزيلت عن بكرة أبيها بسبب زلزال أبادها بمن فيها..

فنظر الرجل إلى ابنه وقال له: انظر يا بني، لو لم يُصبنا ما أصابنا في رحلتنا لكنا وصلنا في ذلك اليوم ولأصابنا ما هو أعظم وكنا مع من هلك في هذه المدينة!!!!

ليكن هذا منهجًا لحياتنا اليومية

لكي تستريح القلوب من القلق والتوتر!

نعلم أن ما أصابنا من حزن وهمّ يمكن أن يكون خيرًا

ما حجبه الله عنا كان أعظم.

لعله خير

قال مسروق بن الأجدع التابعي الثقة الإمام:

كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك، فالديك يوقظهم للصلاة، والحمار ينقلون عليه الماء، ويحمل لهم خباءهم، والكلب يحرسهم.

فجاء الثعلب فأخذ الديك، فحزنوا لذهاب الديك، وكان الرجل صالحاً فقال:

- **لعله خير.**

ثم مكثوا ما شاء الله

ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله، فحزنوا لذهاب الحمار، فقال الرجل الصالح:

- **لعله خير.**

ثم مكثوا ما شاء الله بعد ذلك

ثم أصيب الكلب فقال الرجل الصالح:

- لعله خير.

ثم مكثوا بعد ذلك ما شاء الله، فأصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سُبِيَ من حولهم وبقوا هم، وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من الصوت والضوضاء والجلبة، ولم يكن عند أولئك شيء يحدث صوتاً فقد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم فكان الخير لهم هلاك تلك الحيوانات ليحفظوهم من عدوهم.

الملك والوزير

كان هناك ملك وله وزير، هذا الوزير يتمتّع بحكمة كبيرة، ويثق أنّ كل ما يقدّره الله للإنسان هو خير.

في يوم من الأيام خرج الملك برفقة الوزير لصيد الحيوانات، وكلّما فشل الملك بإصابة شيء قال له الوزير: **(لعلّه خير)**.

وأثناء سيرهما وقع الملك في إحدى الحفر العميقة فقال له الوزير: **(لعلّه خير)**.

ثمّ نزف من يد الملك دم كثير، فذهبا إلى الطبيب وأمر بقطع الإصبع حتّى لا يتضرر باقي الجسم بسببه، فغضب الملك غضبًا شديدًا ورفض الخضوع لأمر الطبيب، إلا أنّ إصبعه لم يتوقف عن النزيف مما أجبره على قطع إصبعه، فقال له الوزير: **(لعلّه خير)**.

فسأل الملك الوزير: وما الخير في ذلك، أتتمنى أن ينقطع إصبعي؟!

وغضب بشدّة وأمر حرّاسه بالقبض على الوزير وحبسه، فقال الوزير: **(لعلّه خير)**.

وقضى الوزير فترة طويلة داخل الحبس.

وفي يوم من الأيام خرج الملك للصيد مصطحبًا معه حرّاسه، فوقع في يد جماعة من الأشخاص الذين يعبدون الأصنام، وقد أخذوه بهدف تقديمه قربانًا للأصنام التي يعبدونها، وعندما عرضوا الملك على قائدهم وجد إصبعه مقطوعًا فأمر بتركه وإعادته من حيث أتى وذلك لأنّ القربان يجب أن يكون صحيحًا بغير علّة.

فعاد الملك إلى القصر مبتهجًا لنجاته من الموت بأعجوبة، وطلب من الحرّاس أن يحضروا الوزير إليه، ثمّ أحضروه وروى الملك له ما حصل معه، واعتذر منه عمّا بدر منه، ثمّ سأله عن سبب قوله (لعلّه خير) عندما أمر الحرّاس بأن يسجنوه، فأخبره الوزير الحكيم أنّه لو لم يحبسه لكان سيصطحبه معه في الصيد كما يفعل عادة، وسيكون قربانًا للأصنام بدلًا منه.

وأخبره الوزير أنّ اللّه عندما يأخذ من الإنسان شيئًا فإنّما يكون ليمتحنه اللّه أو لخير يجهله العبد.

ففرح الملك كثيرًا وقال: **(لعلّه خير).**

الحكمة من القصة

إنّ الإيمان بقضاء الله يحقّق للمؤمن السعادة في الحياة، وهذا ما حدث مع الوزير الحكيم، حيث إنّه كان مطمئنًا سعيدًا رغم أن الملك أمر بحبسه، ولم يُقابل أمره ذلك بالاستياء أو الغضب إنّما بالإيمان بأنّ الله سيختار له الأفضل.

فقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (عَجَبًا لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأِحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْرًا لَهُ).

رواه مسلم.

ينتابُني قَلَقُ المَصيرِ وكلما
آنَستُ لُطفَ اللّٰهِ عادَ هُدوئي
حاشـــاهُ ما كانت إرادتُهُ بنا
مَهمَا قَسَت بَدءًا إرادةَ سُـــوءِ

(فواز اللعبون)

التاجر الطيب

قبل مئات من السنين كان هناك تاجر طيب، يقوم بنسج البطانيات والملابس الثقيلة، ثم يذهب بها إلى مدن بعيدة بها برد وثلوج.

كان لدى التاجر ابن صغير كان يعلمه الحرفة، وبعد ما اشتد عوده بدأ يأخذه معه لرحلاته التجارية.

كان الرجل يذهب على ظهر الخيول والحمير المحملة بالسلع مع القافلات التجارية التي تخرج من مدينته إلى المدن الأخرى التي تبعد مسيرة أيام.

وفي إحدى المرات تأخر عليه الصوف الذي يستخدمه في صناعة الثياب والبطانيات، فلم يتمكن من الذهاب مع القافلة التجارية بالوقت المحدد.

بعد الانتهاء من صناعات السلع التي يريد بيعها، أقنعه ابنه بأن يلحق بالقافلة، بحجة أنهما بمفردهما سيتنقلان أسرع من القافلة، وبالتالي يمكنهما اللحاق بها بعد بضعة أيام من وصولها إلى المدينة التجارية.

بعد بدء رحلتهما بأيام قلائل، توعكت قدم الخيل الذي يحمل السلع فبدأت تؤلمه.

لهذا اضطر التاجر أن يخفف الحمل عن الخيل ويقوم بحمله هو وابنه، سببت هذه المشكلة تأخرًا بالرحلة فغضب الابن كثيرًا فقال له أبوه: **لعله خير.**

بعد عدة أيام بدأ يتألم التاجر أيضا من حمل البضاعة فوق ظهره، فاضطرا للاستراحة أيامًا أخرى.

هنا غضب الابن كثيرًا ثم قال: تبًّا لهذه الرحلة المشؤومة.

رد عليه الأب: **لعله خير**

هنا نظر الابن باستغراب إلى أبيه ثم قال وهو في حالة غضب: وأين الخير في هذا؟ نحن هنا من أيام نعاني من ثقل الحمولة، وهذا الحصان لا يساعدنا في الإسراع.

وبعدما اقتربا من الوصول إلى المدينة التجارية، انزلق الابن بسبب الحمولة التي فوق ظهره وهو يمر فوق منطقة صخرية، فبدأت قدمه تؤلمه، فقال الأب مجددا: **لعله خير**

هنا الابن لم يتحمل وردّ قائلًا: كان يجب ألا نقوم بهذه الرحلة المشؤومة من بدايتها وهي مليئة بالمشاكل، وأنت يا أبي تقول لعله خير، أين الخير في هذا؟

صمت الأب ثم قال لابنه: استرح قليلًا لنكمل الرحلة لم يتبق إلا القليل.

بعد ما وصلا للمدينة التجارية متأخرين بأسابيع عن السوق، وجدوا القافلة أخيرًا هناك وكل من فيها حزين، وبعضهم يبكي. فسأل الابن أحد الأشخاص من القافلة، لماذا الكل حزين هنا؟ وبعضهم يبكي؟

رد عليه قائلًا: لقد تعرضنا لسطو من طرف قطاع الطريق، كانوا يعرفون موعد قدوم القافلة. وليس هذا فحسب فقد تم إيذاء الكثير من التجار بالقافلة، لأنهم رفضوا أن يسلموا سلعتهم للقطاع الطريق.

بعد ما سمعه الشاب الصغير، اندهش من الأمر. بعد ذلك استوعب الأمر؛ لماذا كان أبوه يقول **لعله خير**، فلو لم تحصل لهم هذه العوائق، لوصلوا بسرعة تم سرقت كل سِلَعتهم، إضافة إلى إيذائهم.

فلا تحزن أخي القارئ من المشكلات التي تحصل لك بحياتك، أو ظروفك السيئة، أو أنك تبحث عن عمل أو تريد السفر ولا يتم لك ما تتمنى، لا أحد يعلم ما يمكن أن يحدث لك، فما يحصل لنا ونراه نحن شؤم أو نظن أنه لا حظّ لنا في تحقيق ما نتطلع له، قد يكون هو سبب في فرص وأشياء أفضل مما كنا نخطط له.

رسائل اللطف في صورة أحدهم

الله اللطيف

يرسل الله لطفه إليك على هيئة أشخاص تهدئ من روعك في أقصى درجات الخوف، فكل شخص منحك حبًّا وحافظ عليك وعلى العلاقة معك في أشد الأوقات التي كنت تمر بها!

كان من لطف الله بك في صورة أحدهم.

كل شخص أهداك بسمة أول النهار فاستفتحت بها يومك وأضاف إليه شيء من التفاؤل والجمال

كل شخص ترك لك في نهاية أيامك الصعبة رسالة حب وطمأنينة وأمل وقت إحساسه باستسلامك ويأسك

كل شخص ترك أثرًا جيدًا في عقلك وامتنانًا له في قلبك فتردد كلماته لتُسعِد بها نفسك، مطمئنًا بوجودهم الخفيف اللطيف في حياتك!

كل شخص تبسّم في وجهك وسط الضيق، وهدأ من روعك وقت الخوف والقلق أو حاول!

كل شخص تصدّق عليك بكلمة طيبة سلكتْ طريقًا نحو قلبك فأسعدتك وخففت عبء يوم من أيامك!

كل شخص بعثه اللّهُ في طريقك ليُوقظك بين الحين والآخر..

فيصحح لك أخطاءك ويهدي لك النصائح، وأنت الذي ظننت لوقتٍ طويلٍ أنك كنت على صواب!

كل من حفر مكانا في حياتك ولو بكلمة طيبة ثم غادر..

كل ذلك كان من لطف الله بك في صورة أحدهم.

قد يدخل أحدهم حياتك عن طريق الخطأ، ومع توالي الأيام والأحداث تكتشف أخيرًا أن هذا الخطأ هو أجمل ما حصل في حياتك، يتسلل داخلك بصمت، كما تتسلل قطرات المطر في أعماق الصخور، ربما كنت تظن العلاقة بينكما عابرة، لكنها تصل إلى الأبديّة بينكما.

يرسل الله لك أحدهم وكأنه ينير في حياتك ما كان مظلمًا

ربما يكون من لطف لقائك به ما يعادل فرحة مغترب بوطنه

شخص تقبّلك هكذا؛ بعيوبك وأخطاءك وتقصيرك، تقبلك وصبر عليك وتفهم أعذارك في وقت عجزك وانطفائك، يقف إلى جانبك في أشد ظروفك، ويجتاز معك الصعاب، ويهون عليك مشقة الطريق، لا يملّ غضبك، ولا ييأس من سقوطك.

فإياك أن تنسى هؤلاء.. أساسًا لا يحق لك النسيان!

إياك أن تنسى ... وإن أبعدتك عنهم المسافات والظروف

وإن تبدلت الأحوال والقلوب، وتغيرت العلاقات ...

لا تنسَ أشخاصًا كانوا من لطف الله بك في صورة أحدهم.

سنظل ممتنين لهم لأنهم أضافوا شيئًا جميلًا إلى حياتنا؛ بمقدار كلمة أو بسمة أو وردة أو حب نثق في صدقه رغم كل شيء.

فسلامًا طيبًا، وقلبًا ممتنًا لمروركم الكريم، وعقلًا لا ينسى أثركم، ودعوات نرسلها إلى السماء لأجلكم، وذكرى طيبة لا تُنسى بإذن الله.

فانظر إلى **ألطاف الله** يبعث بملائكة تنزل السكينة على عباده في أقصى لحظات الألم، أو سماعك لآية مصادفة فتتنزل على قلبك كأنها أنزلت لك الآن لترفق فقط بحالك، ويخفف الله عنك باللقاء بأحدهم، أو ببسمة تراها على وجه أخيك، أو بمحبة أناس نبلاء ومساندتهم لك.

ومع كل هذا ، فوالله لو جمعت كل لطف الناس بك، فلن يساوي ذلك قطرة في بحرِ لطف الله بك!

فاقصده في حاجتك، في ضعفك، يأتيك بفرجه وقوته..

ويرسل لك أشخاصًا في حياتك هي رسائل لطفه لك في صورة أحدهم.

يا لطيف يا لطيف

أذكر أنه في مطلع شبابي كان هناك بعض الناس في بلدتنا يجتمعون كل شهر مرة ويظلون يتحركون وهم واقفون، يتمايلون وهم يقولون بصوت جماعي ويرددون كلمة واحدة طول الليل

يا لطيف ... يا لطيف ... يا لطيف ..... أكثر من ألف مرة

وكانوا يسمون تجمعهم هذا بـ (الحضرة) وهي أحد طقوس التصوّف الشّعبي الذي كان منتشرًا في الثمانينيات، و(الحضرة) هذه عبارة عن اجتماع عدد من الأشخاص يرددون ذكرًا جماعيًّا عن طريق ترديد أوراد وأذكار وصلوات على النبي ﷺ وآل بيته، وطلب المدد منهم، يرددها الحاضرون في حلقات دائرية، فكنت أحضر معهم أردد وأتمايل معهم لا أفقه ولا أفهم كثيرًا مما أقول، لكن كان يشجعني كثرة الحضور والحماسة في الرقص والتغني بالأذكار والأوراد المقررة في الحضرة.

وكان هذا طبيعيًّا لكون هذه الطقوس (الحضرة) منتشرة بكثافة في ربوع مصر عن طريق المنتسبين للتصوّف الشّعبي آنذاك الذي كان وربما ما زال منتشرًا بين عوام الناس إلى وقتنا الحالي.

وحيث كانت لمعظم الناس طقوس وممارسات كثيرة دون معرفة دلالاتها أو معانيها..

ولم تكن هذه الطقوس مبنية في الأساس على حكم شرعي صحيح ولكنها كانت تقليدًا لطرق ومشايخ هذا التصوف.

ومن تلك الطقوس ممارسة زيارات قبور وأضرحة الأولياء والذبح والنّذور بقصد التبرك وجلب الحبيب أو حدوث الحمل أو صلاح الأولاد أو الشفاء من الأمراض أو زيادة الرزق وخلافه ...

ومن ذلك أيضا انتشار ثقافة الاحتفالات بالمناسبات الدّينيّة المختلفة وفي مقدّمتها المولد النبويّ بحيث تغدو هذه الاحتفالات طقسًا شعبيًّا عامًا لا ارتباط له بمدرسة صوفيّة أو طريقة بعينها.

وهذه الطرق أو المدارس الصوفية التي يكون كل شيخ له طريقة وورد معين، لا يجوز للمريد حينها أن يعترض على شيخه.

وحسب قواعدهم إذا دخلت إلى شيخك فاخلع عقلك عند الباب كما تخلع الحذاء، وكن بين يدي شيخك كالميت بين يدي المغسل، ولا تتكلم بشيء وإلا طُردت من الحضرة، ويقولون: لا تعترض فتنطرد.

لكن التصوف الحقيقي عكس ذلك.

فلقد عرّف بعضهم التصوف بأنه العمل بالعلم، وعرّفوه أيضًا بأنه التخلي عن الأخلاق الذميمة والتحلي بالأخلاق الحميدة.

وكبار أهل التصوّف يؤكدون على أنه لا يقبل من صوفي حال ولا مقال ما لم يوافق الكتاب والسنة، وقد شذّ قوم منهم عن هذه القواعد وابتدعوا ما لم يأذن به الله، ولكن التصوف الحق هو ما كان عليه أهل التصوف الأول من الزهد والعبادة ومعالجة آفات النفس، لا ما عليه المتأخرون وأحدثوه من البدعة والضلالة.

وقد حكى عياض في ترتيب المدارك عن التنيسي قال: كنا عند مالك، وأصحابه حوله، فجاء رجل من أهل (نصيبين) يقول: يا أبا عبد الله عندنا قوم من الصوفية يأكلون كثيرًا، ثم يأخذون في إنشاد القصائد، ثم يقومون فيرقصون!

قال: أمجانين؟ قال: لا، قوم مشائخ.

فقال مالك: ما سمعت أحدًا من صحابة رسول الله يفعل هذا؟

وقال أبو إسحاق الشاطبي في (الاعتصام): إن الاجتماع على ذكر الله بصوت واحد من الأمور المحدثة التي لم تكن في زمان رسول الله ﷺ، ولا في عصر السلف، ولا عُرفت قط في شريعة محمد ﷺ.

وجاء في الحديث الصحيح: (إنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) رواه مسلم.

فمن هنا عليك أخي القارئ أن تعلم، أن التعبد بغير ما شرع الله وأمر، والحماس على غير هدى النبي ﷺ؛ يؤدي ولا شك إلى ضلالات بلا حدود!!

قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا

إذا كان الله تعالى خلقنا لعبادته وحده لا شريك له، فإن روح هذه العبادة وعنوانها هو الدعاء، فقد أخرج الترمذي عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة، ثم قرأ قول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [غافر ٦٠].

لأن العبادة هي الخضوع والخشوع والانقياد والتذلل، وهذا يظهر في الدعاء، وقد كان ﷺ يكثر من دعاء ربه ﷻ بأسمائه وصفاته كما أمره ﷻ بذلك.

فقال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الأعراف:١٨٠]

وقال أيضًا:

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ ﴾

[الإسراء: ١١٠].

قال السعدي في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان حول معنى الآية:

(هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، وأن كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، ومن تمام كونها "حسنى" أنه لا يدعى إلا بها.

ولذلك قال: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا: اللّهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عَلَيَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك).

وقال القرطبي في تفسيره:

(أي اطلبوا منه بأسمائه؛ فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هاد اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي؛ هكذا، وإن دعوت فقلت: يا أللّه فهو متضمن لكل اسم. ولا تقول: يا رزاق اهدني إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير.

قال ابن العربي: وهكذا، رتب دعاءك تكن من المخلصين).

فدعاء الله بأسمائه الحسنى والتوسّل إليه بها أقرب للإجابة، مع الإشارة إلى أنّ الدعاء بغير الأسماء الحسنى يُرجى له الإجابة بإذن الله، إلا أنّ الدعاء بأسمائه الحُسنى أقرب للاستجابة.

ومن هذا يُعلم مشروعية الدعاء بأسماء الله الحسني من حيث العموم إلا أن تخصيص دعاء معين بوقت معين وبعدد معين يحتاج إلى دليل.

فما لم يأتِ عليه دليل فلا يفعل، لأنه يعد بدعة إضافية، والخير كله في اتباع هدي النبي ﷺ الذي قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم.

وفي رواية البخاري: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد).

ومصداق هذا قول الله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ (النور: ٥٤).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فإذا أردت أن يعاملك الله ﷻ بلطفه في قضائه وقدره وفي تدبيره لأمرك، فعليك أن تدعوه باسمه اللطيف، تبدأ دعاءك بتعظيم الله وتنزيهه، وتخشع وتنكسر بين يديه ما استطعت.

فمثلا تقول:

- اللّهُمّ الطفْ بي في تَيْسيرِ كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرٍ، فَإِنّ تَيْسِيرَ العَسِيرِ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.
- اللّهُمّ أَسْأَلُكَ اللطُف في أُموري كُلِّها كَما تُحِبُّ ربنا وترضى، وَأَرْضِنِي في دُنْيَايَ وَآخِرَتي.
- اللّهُمّ الطفْ بي في قضائك وقدرك الذي قدرته عليَّ، وفرج عني بلطفك وفضلك وكرمك ورحمتك ما أنا فيه.

ولكنّي أسألُكَ اللطفَ فيه

من بين الأدعية الخاطئة التي يرددها الكثير: (اللهم إني لا أسألُكَ ردّ القضاءَ، ولكني أسألُكَ اللطفَ فيه)

ومعناه الدعاء بطلب التخفيف فقط في كل قضاء نازل بك ولو كان شرًّا، فالقائل وكأنه يشعر بالاستغناء عن لطف ربه له، وعدم ثقته بأن الله قادر على كل شيء، حيث إنه امتنع أن يسأل الله دفع ما يخشى، فسأل التخفيف فيه فحسب، بدلًا من أن يدعو الله متذللًا أن يرفع عنه البلاء بالكلية.

فتخيل إنسان مريض يقول: اللهم إني لا أسألك الشفاء، ولكني أسألك أن تهون فقط عليّ المرض، بدلًا من أن يدعو فيقول: اللهم إني أسألك أن تعافيني وأن تشفيني شفاءً لا يُغادر سقمًا.

فعليك أن تعلم أخي القارئ أن الله تعالى قد قدر الأسباب والمسببات، فكلها بقدر الله، وجعل هذه الأقدار تتدافع، فقد يقضي الله القضاء، ويجعل له سببًا يمنع نزوله كالدعاء، وجاء في الحديث: (لا يرد القدر إلا الدعاء) رواه الترمذي، وقال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد: ٣٩].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مُكرِه له) (متفق عليه).

فنهى النبي ﷺ عن تعليق الدعاء بالمشيئة، وأرشد كل داعٍ إلى أن يجزم في دعائه، ويعظم رغبته إلى رب العالمين، فإنّ تعليق الدعاء بالمشيئة يدلّ على ضعف في العزم، أو أن الداعي يخشى أن يُكره الذي يدعوه على فعل ما لا يرغب فيه، والله تعالى لا مكره له سبحانه.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، والمراد بسوء القضاء: هو كل ما يكرهه الإنسان في نفسه أو ماله أو أهله أو ولده أو في دنياه وآخرته.

فالأولى الدعاء برفع ودفع كل شر بالكلية، فتقول (اللهم قنا واصرف عنا شر ما قضيت). فالله وإن قدّر البلاء، فهو سبحانه قادّر على دفعه بالدعاء.

فالدعاء هو سلاحك، تقتل به جميع مخاوفك، وتحارب به جميع ما يهاجمك

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (الدعـــاء سلاح الأقوياء والضعفاء وملاذ الأنبياء والأصفياء وبه يستدفعون كل بلاء).

فلا تكن أعجز الناس فتترك سلاحك في دفاعك عن نفسك ودفاعك عمن حولك، بل كن ماهرًا في اختيار كلماته وألفاظه، متحريًا كذلك الأوقات الفاضلة وساعات قبوله عند الله.

الخاتمة

وها هنا نصل إلى الختام بعد رحلتنا معًا في أسرار ومعاني اسم الله (**اللطيف**)، والذي لم نأتِ إلا على شيء من معناه .. وبقي من خبايا معناه ما أتركه لفهمك وتأمّلك..

فجدير بنا جميعًا أن نسعى للتفكّر في جميع أسماء الله الحسنى والتدبّر في معانيها والتقرّب لله ﷻ بمقتضاها، ودعائه ﷻ بها، فقد قال ابن القيم في الفوائد: (اصدق مع الله تعش بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيك ما تحذره، ولطفه يرضيك بما كتبه لك وقدر).

وكذلك أرجو أن تكون أخي القارئ قد تعلمت منها ما ينير قلبك وبصيرتك حول معية الله بك ولطفه الخفي في تدبير أمورك، فإن وفقك الله لذلك الفهم فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فعندما تكون جزءًا من الأحداث الجارية ربما يصعب عليك أن ترقب لطف الله بك، وأن تعرف الأسرار الإلهية في مجريات الأمور، لا سيما على المدى البعيد؛ لأننا نعيش وسط الأحداث ولا نعرف العواقب.

ولكن عندما ننظر إلى الأحداث من بعيد بعد انتهائها، فنشهد أولها كيف ابتدأت، وكيف تسلسلت الوقائع، ثم ما آلت إليه من نتائج وفق مراد الله تعالى بطرق خفية تؤدي دائما إلى حقيقة إيمانية عظيمة، ألا وهي اليقين المطلق **بأن الله لطيف لما يشاء.**

هذه الحقيقة الإيمانية العظيمة تجعل قلبك أيها القارئ الكريم على يقين بأنه لا جزاء للإحسان إلا الإحسان وأن الثواب العاجل والآجل من الله تعالى، وأن قضاء الله لك في كل أمرك هو خير لك، وإن كنت تجهل بعض طرق الوصول إلى ذلك الخير، ومتى وكيف سيتحقق، فيكون همك وسعيك في تحقيق ما أمرك الله به لا بما قدره الله لك.

فبعد هذا الرحلة..

ألا يستحق الله اللطيف أن تحبّه؟

أن تتأمّل عطاياه؟

أن تزيد في قلبك من ذكره ومراقبته وحبّه ورجائه وخوفه؟

أن تعيش مع هذا الاسم متدبرًا، وسترى حينئذ أشكالًا من لطف الله بك، فأنت لا تعلم إلى أي درجة الله لطيف بك، لا تعلم كيف يُسخر لك الأشخاص والأرواح والأحداث.

لا تعلم كيف يصرف عنك ما تُحِبُّه لشر أنت لا تعلمه، وكيف يُقرب لك ما تكرهه لخير أنت لا تعلمه.

فقط كن على ثقة في لطف الله ﷻ، فإذا عجل لك شيئًا فقد ادخر لك أشياء، فالشيء الذي معك في الدنيا هو القابل للنفاد، وأما الذي ادخرته عند الله فهو باقٍ لا يضيع أبدًا.

فاللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

والحمد لله تعالى الذي وفقني في تقديم هذا الكتاب.

وصلّ اللهم وسلم وبارك تسليما كثيرًا على معلمنا الأول وحبيبنا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

المحتويات

الإهداء ٥

البداية ٧

المقدمة ٩

معنى اسم الله اللطيف ١٧

أولًا: المعنى اللغوي ١٧

ثانيا: معنى الاسم في حق الله تعالى ١٧

مِثْقَال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ٢٩

يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ٣١

يا ألطـاف الله !! ٣٣

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِه ٤١

اقتران اسم اللطيف بالخبير ٤٧

ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ٤٩

وليتلطف ٥١

المسافر ٥٥

التلطف .. بين المُداراة والمُداهنة ٥٧

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ٦٠

ألطاف نزول المطر ٦١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ٦٣

ألطاف الإله جل في علاه ٦٧

لطف الله بنبيه يوسف عليه السلام ٦٩

إنّ ربي لطيفٌ لما يشاء ٧٩

لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم ٨٠

واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمرِهِ ٨٣

لطف الله بيونس عليه السلام ٨٥

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ٨٩

وَاصْبِر عَلَى مَا أَصَابَك..... ٩٠

لطف الله بنبيه موسى عليه السلام..... ٩٣

إِنّ معيَ رَبّي سَيَهدين..... ٩٦

لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ..... ٩٧

موسى مع الخضر..... ٩٨

لطف الله في قضائه وقدره..... ١٠١

خُلِقَ ٱلإنسَانُ مِن عَجَلٍ..... ١٠٩

فكم لله من لطف خفيّ..... ١١١

لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع!!..... ١١٢

ألطـــاف من السيرة النبوية..... ١١٧

طفولة النَّبي ١١٧

حصار شعب أبي طالب..... ١١٩

في الغار: ١٢٠

لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ١٢١

غزوة بدر ١٢٢

غزوة أحد ١٢٣

صلح الحديبية ١٢٤

غزوة بني النضير..... ١٢٥

في غزوة تبوك..... ١٢٦

زوجات النبي (أمهات المؤمنين) ١٢٧

واذكر في الكتاب مَرْيَم..... ١٢٩

يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاك..... ١٣٢

وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لكم..... ١٣٣

اللهم أجرني في مصيبتي..... ١٤١

ما حجبه الله عنا كان أعظم!..... ١٤٥

لعله خير..... ١٤٧

الملك والوزير..... ١٤٩

التاجر الطيب..... ١٥٣

رسائل اللطف في صورة أحدهم..... ١٥٧

يا لطيف يا لطيف..... ١٦١

وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا..... ١٦٥

ولكنّي أسألُكَ اللطفَ فيه..... ١٦٩

الخاتمة..... ١٧١

المحتويات..... ١٧٤